مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وخمسة وعشرون - رمضان ١٤٤٥هـ/ مارس ٢٠٢٤ م

صحيح البخاري

الجامع الصحيح رواية أبي الوقت عبد الأول عن ابن المظفر الداودي عن السرخسي عن الفربري عن البخاري

المؤلف: البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، أبو عبد الله ٢٥٦ هـ

تاريخ النسخ: ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٧٩ هجري

نسخة مكتبة حاجي بشير آغا برقم ١٦٢

Sahih Bukhari

Al-Jami' Al-Sahih, the narration of Abu Al-Waqt Abdul Awal, on the authority of Ibn Al-Muzaffar Al-Dawoodi, on the authority of Al-Sarkhasi, on the authority of Al-Farbari, on the authority of Al-Bukhari

Author: Al-Bukhari: Muhammad bin Ismail bin Ibrahim Al-Jaafi, Abu Abdullah 256 AH

Copy date: Jumada al-Akhirah 10, 779 AH

Haji Bashir Agha Library Copy No. 162

الفهـــــرس

الإفتتاحية

«دور الـذكاء الاصطناعـي في صون التراث العربي: تحديات وإمكانيات»

سكرتير التحرير ٤

المقـالات

مصطلح الفوز في القرآن الكريم دراسة مصطلحية

الأستاذ: عادل عادل الوادي ٦

المُتَبَقِّي مِنْ شِعْرِ أبي الوَلِيد الشَّوَّاش الشِّلْبِي «جمع وتوثيق ودراسة»

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد ٢٦

التجّار الأوروبيّون والشـرق الأقصى إبّان القرن الرابع عشر الميلادي

د. بيار مكرزل ٦٥

آثار الاحتلال الفرنسي على ترحال قبائل الجنوب الشرقي المغربي قبيلة آيت خباش أنموذجا

عبد الرحمن ملوكي ٨٥

الحُضُور المَغْربيّ في مِصْر بين القَرْنَيْن (١٢- ١٤هـ/ ١٨- ٢م) مُعْطيات أَوَّلِيّة في ضوْء الإفادات التاريخيّة والشّواهد الأثَريّة

د. رامي ربيع عبد الجواد راشد ١٠٠

إعادة التدوير في المؤلفات التراثية العربية ١٠٩

أ.د.مها الشعار

تحقيق المخطوطات

الإنصـاف فيما بين الأئمة فـي حدثنا وأخبرنا من الاختلاف ١٢٩

الدكتور العربي الدائز الفرياطي

الملخصات ١٨٦

المُتَبَقِّي مِنْ شِعْرِ أبي الوَلِيد الشَّوَّاش الشِّلْبِي "جمع وتوثيق ودراسة"

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد
أستاذ مشارك- بقسم اللغة العربية وآدابها
جامعة أم درمان الإسلامية
السودان

يُعدُّ أبو الوليد إسماعيل بن عمر الشَّوَّاش ثالث ثلاثةٍ يمثلون مثلث الشعر بمدينة شِلْب، إذ يقف إلى جوار بلديَّيه الشِّلْبِيّين الآخَرَيْنِ ابن حَرْبُون وابن المُنَخَّل في مقدمة شعراء المديح على عهد الموحدين لاسيما في دولتي عبد المؤمن بن على وابنه يوسف، لكنه ومع ذلك لم ينل حظه-بحسب علمنا- من الدرس والنقد، ولعل هذا ما دفعني إلى جمع المتبقي من شعره وتوثيقه، ثم دراسته دراسة فنية نستجلي فيها مخايل نبوغه وعناصر إبداعه. ولتحقيق هذه الغاية قسمت الدراسة إلى قسمين، في القسم الأول: درست حياته وخصائص شعره الفنية، وفي القسم الثاني: جمعت المتبقي من شعره ووثقته وشرحت غامض معانيه.

حياة الشواش[1]:

هو أبو الوليد إسماعيل بن عمر[2]، الأستاذ المعروف بالشَّوَّاش[3] -بشينين معجمتين والواو مشددة بعدها ألف[4]- من مدينة شِلْب[5]، ولد فيها وترعرع بها، لكن- وللأسف الشديد- ضنَّت علينا مصادر ترجمته-وما أقلها- بالحديث عن نشأته، أو مراحل حياته، أو مكانته الاجتماعية، أو الأشياخ الذين جلس إليهم، وتلَّقف عنهم المعارف، لكن هذا لا يمنعنا من القول إنه- كأهل الأندلس- اختلف إلى حلقات العلم في بلدته شلب، فحفظ القرآن الكريم ودرس علوم اللغة العربية والمعارف الأخرى. وأكبر الظن أنه بلغ في دراسته شأوا عظيما لدرجة أن نعته معاصروه بالأستاذ المجيد[6]. وبعد استكمال حلقة المعارف جلس للإقراء والتعليم كما يفهم من وصف ابن الزبير له[7].

والواضح أنه إلى جوار ما كان ينهض به من عبء التعليم والتفهيم كان مشاركا في الحياة الثقافية في شلب شعرا وكتابة، فقد ذكر أن له كتابا أسماه ثروة المريدين[8]، مما يشي بأنه كان ذا علاقة وطيدة بالتصوف.

يبدو أن الشواش كان كالأندلسيين يكره

المرابطين، إذ نـراه يلتحق بركب الموحدين منذ وقت مبكر، وقبل أن يتجاوز عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين العدوة تجاه الأندلس سنة ٥٥٥هـ[٩] ، فقد ذكر ابن الأبار أبياتا له قالها في بيعة الأمير محمد بن عبد المؤمن سنة ٥٤٧هـ [١٠]، أو ٥٤٨هـ[١١]، ويبدو أنه عاد كما عاد غيره من الشعراء الأندلسيين إلى بلادهم. وعلى الرغم من التحاقه بركب الموحدين نجده غائبا، بل متخلفا عن ركب الشعراء الأندلسيين الذين توافدوا زرافات ووحدانا إلى جبل الفتح عندما نزل به عبد المؤمن بن علي. أكبر الظن أن ثمة مانعا قد منعه حضور هذا الحفل الكبير الذي حضره معظم شعراء الأندلس حتى بَلَدِيّيه الشِّلْبِيينِ-ابن المنخل وابن حربون- ونستخلص من قصيدة بائية له هنأ بها عبد المؤمن بن علي سنة ٥٥٧هـ أي بعد عامين من غيابه عن جبل الفتح-اعتذارا واضحا عن غيابه، والتماسا للصفح والمغفرة [١٢] .

كان الشواش حاضرا لكل الأحداث السياسية الكبرى على عهد عبد المؤمن، ومشاركا فيها بشعره، يقول ابن الأبار" وكان من القادمين من أهل بلده على سلا مهنئا بالبيعة المنعقدة سنة ٥٥٨هـ"[١٣]، ومقولة ابن الأبار تفيد بأنه لم يكن من الشعراء المقيمين في رحاب قصر الخليفة الموحدي، بل كان من المترددين على الموحدين بين الحين والآخر.

ويأتي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فنراه حاضرا أيضا بيعته سنة ٥٥٨هـ، كما وصل أيضا إلى مراكش فمدحه سنة ٥٦٠هـ[١٤]. والواضح من جملة الأشعار التي بين أيدينا والتي اتخذت سبيلا واحدا هو المديح، وهي وإن تعددت أشكالها بين تهنئة أو مبايعة أو مباركة بالنصر أو ثناء للخليفة تدل بجلاء على أن الشواش كان من شعراء الموحدين، أو في مقدمتهم، ولا نستطيع الجزم لقلة الأخبار أنه كان مقيما بصورة دائمة بالمغرب، لكن تواريخ القصائد التي مدح بها الموحدين المتقاربة تدل بجلاء على أنه كان كثير التردد عليهم، وأكبر الظن أنه أثناء إقامته المتعددة سافر إلى مكة وحجَّ البيت العتيق[١٥]. وأنه ظلَّ زمنا بمكة ما لبث أن عاد إلى مراكش، وتوفي بها سنة ٥٦٩هـ كما يقول السيوطي[١٦].

شعره ومصادره:

لم يذكر أحد ممن ترجم له أن لصاحبنا ديوان شعر أو أنه اتخذ راوية له، ونستطيع أن نستنتج من وصف ابن الأبـار[١٧] له بأنه من طبقة- شاعري شلب الكبيرين في عصر الموحدين- أبي بكر بن المنخل[١٨]وأبي عمر ابن حربون[١٩] بأنه كان شاعرا كبيرا، وأن له شعرا كثيرا. لكن وللأسف الشديد لولا ارتباط شعره بالأحداث التاريخية في عهد الموحدين، واستشهاد المؤرخين به لسقط معظم شعره من يد الزمان كما سقط شعر غيره من شعراء هذا العصر. فالشعر الذي بين أيدينا يزيد عن مئة وثمانين بيتا كلها تدور في فلك المديح، وهي- على قلتها- تشي بشاعرية فذة، وطول نفس، وقدرة على التدفق والانثيال، وأكبر الظن أن له أشعارا طوَّف بها في آفاق شعرية متعددة. ومع أن من العسير الحكم على شعر شاعر بناءً على أفق شعري واحد إلا أن مخايل النبوغ وعلامات الشاعرية الفذة لا تخفى على ذي عين بصيرة.

مصادر شعره:

كان ابن صاحب الصلاة(ت: ٥٩٥هـ) هو أول من ذكر شعره وأكثر من استشهد به، إذ وجد فيه مادة غنية لتوثيق الأحداث السياسية المرتبطة بدولة الموحدين، فكان مجموع ما ذكره له ١٦١ بيتا في أربع قصائد تتراوح بين الأربعين بيتا والخمسة وأربعين بيتا، ويأتي بعده ابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ) فيذكر له في تحفة القادم قصيدة واحدة بائية عدد أبياتها أحد عشر بيتا، أما ابن عذاري صاحب البيان المغرب(ت:٧١٢هـ) فذكر له أحد عشر بيتا، كان البيت الأول من نفسه مطلع البائية التي ذكرها ابن الأبار كما مرَّ سابقا لكنه انفرد بعشرة أبيات أخلَّ بها ابن الأبار، كما ذكر له عشرين بيتا من التائية التي أوردها له ابن صاحب الصلاة كاملة، وجاء صاحب المقتضب فذكر له أربعة أبيات نقلها عن ابن الأبار، أما الصفدي(ت:٧٤٦هـ) فنقل الأبيات التي ذكرها ابن الأبار بحذافيرها، وبالتالي يكون مجموع شعره الذي بين أيدينا مئة واثنين وثمانين بيتا.

موضوعات شعره:

للأسف الشديد- وما أكثر ما تأسفنا في هذا البحث- أن كل ما وصل إلينا من شعر الشواش الشلبي يدور حول محور واحد، هو المديح وتحديدا في مدح عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين وابنه الخليفة- فيما بعد- يوسف، ونحن نقدر تقدير الظن أن الشواش مثله مثل شعراء عصره وجد في دولة الموحدين أنموذجا فذا يحقق من خلاله أربه ويبلغ غاياته، فالشواش من مدينة شلب، وهي بعيدة جدا عن مراكز الأندلس الكبرى، كإشبيلية أو قرطبة أو بلنسية، ولا شك أن البقاء بها، والركون إلى مهنة التدريس قد يقيه بعض عنت الحياة، لكنه قطعا لن يحقق طموحاته، ولعل هذا ما دفعه- إلى جوار أنداده الشلبيين، كابن حربون وابن المنخل وغيرهم- إلى الالتحاق بركب الموحدين منذ عهدهم الأول هذا من جهة، ومن جهة ثانية ربما كان معجبا أو مؤمنا بدعوة الموحدين التي قامت على أساس ديني، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلا عن حرص خلفائها من لدن مؤسس الدعوة محمد بن تُومرت مرورا بأمير المؤمنين والمؤسس الفعلي للدولة عبد المؤمن بن علي وابنه الخليفة يوسف على تطبيق هذا المبدأ على نحو عملي فذ، فضلا عن اهتمامهم بالعلم، وحبهم له وحرصهم عليه، واستدعائهم للشعراء من المغرب والأندلس، وإجراء الأرزاق عليهم- كما يقول المراكشي[٢٠]- فتحَتَّم عليه مدحهم، ولعل السبب الأخير أكثر وجاهة إذ منحه المبرر الأخلاقي والسبب المنطقي لمدحهم والغلو فيه.

لعل من الأفضل بعد أن حاولنا تفسير دوافع المديح عند الشواش أن نبحث في تشكيله للقصيدة المادحة وتنضيده لها، والوقوف عند المعاني التي تدور حولها.

درج النقاد القدامى على تحديد الأطر، أو المعاني التي يدور حولها المديح، يقول قدامة ابن جعفر" إنها لا تخرج عن صفات العقل والشجاعة والعدل والعفة"[٢١]، فالمديح بها يعد إصابة والعدول عنها خطأ، ولم يكتفوا بذلك فحسب، بل جعلوا لكل مقام من مقامات المديح ما يناسبه أو يلائمه وينسجم معه-ويهمنا هنا مدح الخلفاء فحسب- يقول حازم القرطاجني" وأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من

تلك الصفات وأجلها، وأكملها كنصر الدين، وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة وما أشبه ذلك، وينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط"[٢٢]، وأكبر الظن أن شاعرنا كان واعيا جدا لهذه الأطر من المعاني عاملا بها.

لم يكن الشواش بدعا عن غيره من شعراء الموحدين فقد حذا حذوهم في ترديد الأفكار المتصلة بدعوة الموحدين، وترسيخ هذه الأفكار في روع المتلقي، ومن هذه الأفكار،" عصمة الإمام وصدق دعوته"[٢٣]، يقول عن الخليفة عبد المؤمن بن علي هو خليفة مهدي الموحدين محمد بن تومرت:

إمَـامُ هُـدًى يدعو إلـى الحَقِّ مُعْلِنًا

فيا فَوْزَ من لَبَّى ويا وَيْلَ من أبَـى[٢٤]

خَلِيفَةُ مَـهْـدِيِّ الـورى وأمـِيْنُـهُ

تـَوَلَّاه في الْمَـحْـيَا ووالَّاه مَـعْقِبَا

ويقول عن ابنه الخليفة يوسف إنه نجل الإمام، وكأنَّ الإمامة تتسلسل في أصلاب آل عبد المؤمن ابن علي:

نَجْلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الخُلْقِ الرِّضَى

يبدو علـيه هَدْيُـه ويَبِـينُ[٢٥]

أن الأمر أمر الله صدع فيه الـهـدى"[٢٦]، ومضى الخليفة عبد المؤمن لإنفاذه:

يمضي لأمْـرِ اللـه غَـيْـرَ معـرِّجٍ

مُتَوجِّهًا بالنَّصرِ ضَرْبة لازِبِ[٢٧]

ويؤكده مرة ثانية في مدحه للخليفة يوسف بن عبد المؤمن:

الأمْـرُ أمْـرُ الله وهو مُـؤيَّـدٌ

والحَبْلُ حَـبْلُ اللهِ وهـو مَتِينُ[٢٨]

وللخليفة الموحدي في نظر الشواش صورتان، صورة الإمام الذي اختارته السماء، والذي لم يبلغ درجة الكمال الإنساني فحسب، بل تجاوزها بكثير، فهو إلى جوار أنه معصوم، ومهدي، هو أمين الله"[٢٩]، و"هادي الأنام"[٣٠]، و"إمام الـهـدى"[٣١]، و"علم الـهـدى"[٣٢]، و"عصمة أهل الأرض"[٣٣]، و"سبيل النجاة"[٣٤] و"أمير المؤمنين"[٣٥]. أما الصورة الثانية فصورة الخليفة الإنسان، وفيها يُنْزل الشواشُ الخليفةَ الموحدي إلى الأرض قليلا، لكن في الوقت نفسه يحافظ على كماله الإنساني في كل صفة من صفاته، ففي السياسة وشؤون الحكم هو" ملك الملوك [٣٦]، و"ملك الدنيا،"[٣٧]، و"الملك الميمون"[٣٨]، إلى جوار صفات الكمال في العدل والشجاعة، الحلم وحسن التدبير. من أكثر المعاني التي حرص الشواش في مدائحه، عدل الخليفة وحلمه ورزانته، فقد بلغ من العدل درجة تواد الذئب والرشا:

وعَـدْلُـكَ ألَّـفَ الأشْـتَـاتَ حَـتَّـى

تَـوَادَّ الـذِيبُ والـرَّشأ الرَّبِيبُ[٣٩]

وحِـلْـمُـك أرْجَـحَ الـشُّـمَّ الـرَّواسِـي

فـمِـنْـهُ فـي شَـوامِـخِـهـا رُسُـوبُ

ويجمع بين حلم الخليفة وسؤدده وحرصه على تحقيق العدالة لرعيته والحفاظ على سلامتها:

نَـدْبٌ أشَـمُّ الأنْـفِ إنْ سُئِـل الـذى
لايَرْتَضِي ثَـارَتْ لـه أنَفَاتُـه(٤٠)
سَـهْـلُ الـجَـوانِـبِ راضِـيًـا ومُـوالِـيا
وإذا تَـنَـكَّـر أحْـزَنَـتْ جَـنَـبـاتُـه
سَـاسَ الأنَـامَ فـأُمِّـلَـتْ نَـعْـمـاؤُه
ونوالُـهُ وتـخُـوِّفَتْ نَـقَـمَـاتُـه
يَرْعَى بَـجَفْـنِ كَلاءَةٍ وحِـمَايَـةٍ
مَـوْصُـولـةٌ فـي رَعْـيِـه يَـقَـظَاتُه

فالخليفة إذ يلين تواضعا لرعيته فإنه يخيف حزما أعداءها، ومثلما يؤنسك بنعمته، يرعبك بنقمته، وهو في كليهما حريص على أمن رعيته وصيانة البلاد والعباد. أما قوله "يرعى بجفن كلاءة "فتعبير جميل، فمثلما يحفظ الجفنُ العين من كل قذى يعكر صفوها يستحيل الخليفة جفنا يحمي الدين والعباد والبلاد. وليس من شك أن إلحاح الشواش في الحديث عن العدل والطمأنينة يوضح إلى أي مدى كان الأندلسيون يشعرون بالخوف والظلم في دولة المرابطين، فقد أحاط بهم العِدا من كل صوب ونحب، حتى إذا جاء الموحدون ذهب خوفهم، وقرت بلابلهم، وناموا ملء جفونهم. ويتغنى بصفة الكرم، وتتفاوت صورته عنده ما بين الصورة النمطية المكرورة، والصورة الجديدة الطريفة، فمن الأولى قوله:

تـحوي نَـدَاهُ الطَّيْرُ في وُكنَاتـها
فتَـرِنُّ تَرْجِـيعًـا بشُكْرٍ دَائِـب(٤١)

فصورة الطير" التي يصيبها الكرم لكثرته فترن شكرا صورة تقليدية عن سعة البذل"(٤٢)، ومن الجديد قوله:

وَدَلَّ الـحـائـريـن عـلـى نَـدَاهُ
فَكُـلُّ مُضِلَّةٍ لَـقَـمٌ رَكُـوبُ(٤٣)
وعَـمَّ فـذُو الـتَّـبـاعُـدِ والـتَّـدانـي
سَـوَاءٌ والـحزُونـة والـسُّهـوبُ
مُـفِيدٌ أو مُـبِـيـدٌ مُـسْتَمِـرٌّ
لـحالـيه كَسُـوبٌ أو نَـهُـوبُ
تُـنَـافِسُ جُـودَهُ الـسُّحْبُ الـغَـوَادِي
فـيـبـدو فَـوْق أوجُـهِـهـا قُـطُـوبُ

فكرم الخليفة لا يضيء للضالين سبيلهم فحسب، بل يحيل الوعر سهلا هينا، ويمنح القريب ويصل البعيد، حتى بلغ درجة توارت فيه السحب الغوادي خجلا من مزاحمته في الكرم. ومثلما هو معطاء لرعيته خيرا وفيرا، معطاء لأعدائه شرا مستطيرا، فهو في الحالين معطاء. والحق أن الخليفة الموحدي ليس كريما معطاء أو عادلا مقسطا، بل هو بطل نشأ في مهاد الحزم والبسالة، فعلى نحو ما غذته الخلافة لبانها في المهد، ارتضع الشجاعة من أخلافها فارتوى نهلا وعللا:

تَـرَكَ الـمِهَادَ لِـسَـرْجِ أجْـرَدَ سَابِحٍ
وَصَفَا عليه سَـرْدُه الـمَوضُونُ(٤٤)
شِـبْـلٌ غَـذَتْـه لـبُـحُومُ آسَـادِ الـوَغَى
فـي حـيْـثُ مُـلْـتَـفُّ الـوَشِـيـجِ عَـرِيـنُ
وكـأنَّـمـا الـهَـيْـجَـاءُ أمٌّ بَـرَّةٌ
تَـحْـنُـو عـلـيه بـرِفْـقِـه وتَـلِـيـنُ

والشواش لا يرسل صفة الشجاعة على الخليفة إرسالا، وإنما يدعمها بالدليل المادي الذي يؤكد

به صدق مقولته:

شَـهِـدَتْ بِفَضْلك صَـادِقَـاتُ وَقَـائـعٍ

لـم تَلْتَبِسْ بـشُهُودِهِنَّ ظَـنِـينُ[٤٥]

وتَحَدَّثَتْ بِيضُ الصَّوارِم في الطَّلى

بحديث مَـجْـدِك والـحَـدِيـثُ شُـجُـونُ

لله دَرُّكَ والـفَـوارِسُ تَـدَّعِـي

والحربُ خاسِرةُ المَتَـاعِ زَبُـونُ

ويصور شجاعته وقوة شكيمته وشدة بأسه، فهو يقابل أعداءه كمن يقابل سرب الغيد الرعابيب، أو على نحو ما يلقى الحبيب محبوبته، فكلاهما- الخليفة والعاشق- يلقى من يحب (المحبوبة عند العاشق والحرب عند الخليفة) مطمئن البال، سعيد الفؤاد.

تَـلْـقَـاهُ آسَـادُ الـوَغَى وكُمَاتُها

فكأنَّـما يَلْقاهُ سِرْبُ كَـوَاعِبِ[٤٦]

ومهما يكن الأمر فالمدح عند الشواش ليس مجموعة من الصفات التي يخلعها على الخليفة الموحدي، وإنما هو أطروحة سياسية ترتكز- إلى جوار منطلقات الموحدين العقدية- على المنطق والعقل لتجيب بصورة حاسمة على المتشككين، أو الحائرين، أو المؤلفة قلوبهم، كما تؤكد حق الموحدين في الخلافة بالدليل العقلي والبرهان المنطقي، وبذلك يلعب الشاعر في عصر الموحدين دورا لا يقل خطرا وأثرا عن السياسي في تعضيد الحكم وتقويته:

عَـهْدٌ أنـارَ بـه الـهُدَى والـدِّين

واسْتُظِهر التَّأييدُ والـتَّمْكِينُ[٤٧]

بُـشْـرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَهْدَها

الـبَـرُّ الـتَّـقِـيُّ الـطَـاهِـرُ الـمَيمُونُ

نَجْلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الخُلْقِ الرِّضَى

يـبـدو عـلـيـه هَدْيُـه ويَبِـيـنُ

النَّاصِرُ الـمَنْصُورُ أوضَـحَ نَهْجَهُ

فـي الـصَّـالـحـاتِ فَنَجْحُه مَضْمونُ

فعندما يكون الخليفة نجل الإمام المعصوم، ويكون برا تقيا طاهرا ميمونا، يحفظ ذمار الإسلام ويحمي بيضته، ويحرر البلاد المغتصبة فضلا عن فتح بلاد الأعداء شرقا ومغربا ألا يستحق بعد ذلك كله أن يكون خليفة المسلمين. ويسلك في قصيدة أخرى السبيل نفسه، أعني جملة الحجاج المنطقي لتأكيد صدق الأطروحة:

وَصَـحَّ بـه الـزَّمـانُ فـكُـلُّ داءٍ

عَـيَـاءٍ عَـالَـهُ مـنـه طَـبِـيبُ[٤٨]

وَدَلَّ الـحـائـريـن عـلـى نَـدَاهُ

فَـكُـلُّ مُـضِـلَّـةٍ لَـقَـمٌ رَكُـوبُ

ونلاحظ أنه في كل بيت يقدم في شطره الأول النتيجة بينما يجعل الشطر الثاني مسوغات تؤكد صدق ما ذهب إليه في الشطر الأول، مخالفا بذلك المنطق الأرسطي القائل إن المقدمات تقود إلى النتائج، فقد صح الزمان به لأنه طبب كل من به داء، وكرمه فاض وغمر بدليل أنه نفي العثار وجعله جددا.

والشواش-كغيره من شعراء المديح- ينظر إلى الخليفة "بوصفه واحدا من النماذج العليا والقدوة الحسنة، فهو القائد الذي تتجسد فيه كل الفضائل"[٤٩]، وليس أعظم من أن يكون الخليفة حريصا على أداء الفرائض الدينية والواجبات،

فالخليفة صوَّام وقوَّام، والخليفة محب للعلم، ومعلم لرعيته:

تُقَضِّي شَهْرَ صَوْمِكَ مُسْتَدِيمًا

وصَالَك والمقامُ لـه حَبِيبُ[٥٠]

وعَلَّمْتَ الجَهُولَ فليس إلا

عَلِيمٌ رَائِدٌ فَطِنٌ لَبِيبُ

فأوْسَعْتَ الأنامَ هُدًى يُرِيهم

مَعَالمَ دِينِهم وَنَدًى يَصُوبُ

ونلاحظ أن الشواش ينحو في مدائحه منحا يوازن فيه بين الصفات التي ورثها الخليفة عن آبائه وبين الصفات التي يكتسبها الإنسان بعرق الجبين، وسعة الطموح، وشدة البذل، والهمة العالية:

ضَمِنَ السِّيادَةَ في الطُفُولةِ وازْدَهَتْ

بسُعُودِه الأيَّامُ وهو جَنِينُ[٥١]

عِزٌّ رَبِيبٌ والعُلُومُ لِدَاتُه

والمَشْرَفِيُّ أخٌ له وخَدِينُ

تَرَكَ المِهَادَ لِسَرْجِ أجْرَدَ سَابِحٍ

وَصَفَا عليه سَرْدُه المَوضُونُ

ونلاحظ خلو مدائحه- باستثناء إشارة واحدة مبتسرة- من وصف الخليفة بجمال الوجه، وبهاء الطلعة، وغيرها من الصفات التي لا يتفاضل بها الرجال؛ لأنها صفات لا يكتسبها الإنسان اكتسابا، بل هي مقدرة له تقديرا، يقول حازم:" فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد به، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه"[٥٢]. وقبل أن نغادر قصيدة المديح نشير إلى ثلاث ملاحظات، الأولى، تكرار المعاني والصور، فكان إذا أعجبه معنى، أو خلبته صورة عمد إلى تكرارها، ونحن لا نلقي القول على عواهنه، خذ مثلا قوله في وصف الحرب بالأم البرَّة التي تحنو على الخليفة ابنها:

وكأنَّما الهَيْجَاءُ أمٌّ بَرَّةٌ

تَحْنُو عليه برِفْقِه وتَلِينُ[٥٣]

تَحْنُو عليه الحربُ إذ كان ابْنَها

رَبَّتْه من حَمْسِ الوغى رَبَّاتُه[٥٤]

وقوله في التعبير عن الكثرة الكاثرة اعتمادا على عدد الحصى:

كاثَرْنَ أعْدَادَ الحصى وتَضَاءلَتْ

منها فِساحُ أجَارعٍ وأخَاشِبِ[٥٥]

كَثُرتْ فَضائِلُه فَكَاثَرتِ الحَصَى

عَدًا وقَدْ قَلَّتْ به سَنُواتُه[٥٦]

والملاحظة الثانية: أن ثمة جانبا أشار إليه في مدائحه بصورة خجولة، ولم يتوسع فيه توسعا كبيرا "وهو تصويره لجانب مما يخوضه الخليفة من معارك وما يحققه من انتصارات"[٥٧]. أما **الملاحظة الثالثة**: وهي الصدق الفني في مدائحه، فأكبر الظن أن الصفات التي تحلى بها خلفاء الدولة الموحدية، لاسيما عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، لم تمنح الشواش أو غيره من شعراء عصره معينا خصبا ينهلون منه، أو داعيا يستحث قرائحهم الشعرية، بل جعلتهم يحققون شرطا من أهم شروط الشعر المؤثر، وهو الصدق الفني، فصورة الخليفة في كتب التاريخ

تكاد إلى- حد كبير- تطابق الصورة التي رسمها له الشواش في شعره: فإذ يقول الشواش عن الخليفة عبد المؤمن بن علي:

وعَـلَّـمْـتَ الـجَـهُـولَ فـلـيس إلا

عـلِـيـمٌ رَائِـدٌ فَـطِـنٌ لَـبِيبُ[٥٨]

فـأوْسَـعْـتَ الأنـامَ هُـدًى يُـرِيـهـم

مَـعَـالِمَ دِيـنِـهـم وَنَـدًى يَـصُـوبُ

وعن ابنه يوسف:

عِزٌّ رَبِـيـبٌ والعُـلُـومُ لِـذَاتُـه

والـمَـشْـرَفِيُّ أخٌ له وخَـدِيـنُ[٥٩]

غِـرٌّ لَـبِـيـبٌ والـعُـلُـوم لـذَاتُـه

والـمَـعْـلُـواتُ كرَائِـمًا دايَاتُـه[٦٠]

يقول المراكشي:" كان عبد المؤمن مؤثرا للعلم محبا له"[٦١]، ويقول عن ابنه يوسف:" كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وغامض النحو، وأحفظهم للعربية"[٦٢]، ولعل في قوله "العلوم لداته" تأكيد لعلم الخليفة وسعة معارفه.

الخصائص الفنية:

اللغة والأسلوب:

تأثرت لغة الشواش بالقرآن الكريم، وتفاوت هذا التأثير ما بين اقتباس الآيات الكريمة بحذافيرها، أو الأخذ من مفرداتها، فمن الأولى قوله:

فهُـنَـاك أسَّسَ بـالتُّقى بُـنْيانَه

وهُـنَـاك شُـيِّدَ بالهُدَى حُـجُـراتُـه[٦٣]

فالشطر الأول اقتباس من قوله تعالى M أفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللهِ L[٦٤]، وقوله:

يَـرْعَـاك مَـنْ يُـرْعِـيك عَـهْـدَ عِـبَـادةٍ

ويَـقُـولُ للأشْـيَـاءِ كُـنْ فَـتَـكُـونُ[٦٥]

فالشطر الثاني اقتباس من قوله تعالى" إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[٦٦]. وأحيانا يستعير التعبير القرآني الجاهز مثل:" عذاب واصب"[٦٧]و"الفتح القريب"[٦٨]و"ارتد طرفك"[٦٩]. ويلفق بيتا من القرآن الكريم والشعر القديم فقوله:

ولَّـى الأمَـانَـةَ أهْـلَـهـا وسَـمَـا لها

بِـغِنائِـه رَحْـبُ الـذِّراعِ أمِـيـنُ[٧٠]

وفي البيت اقتباس من قوله تعالى Mإنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا L[٧١]، فضلا عن إفادته من قول لقيط بن يعمر الإيادي:

فـقَـلِّـدُوا أمـرَكـم لـلـهِ دَرُّكُـم

رحبَ الذِّراع بأمْرِ الحربِ مضطلعا[٧٢]

ويقتبس من الحديث النبوي الشريف، فقوله:

وَصَـحَّ بـه الـزَّمـانُ فـكُـلُّ داءٍ

عَيَاءٍ عَـالَـهُ مـنـه طَـبِـيبُ [٧٣]

فيه نظر لقول النبي صلى الله عليه وسلم" إن لكل داءٍ دواءً، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"[٧٤]. ومن أدواته اللغوية الإفادة من الأمثال العربية، فهو لا يفيد من المثل العربي" أثقل من جبل رضوى" فحسب، بل يعيد إنتاجه على نحو جديد، إذ يجعله على ثقله ورسوخه أقل وزنا وأخف رزانة إذا قِيس بسيده الخليفة:

أرى جَـبَلًا من رحْـمَـةِ الله خَاشِعًا

يَخِفُّ له رَضْـوَى إذا عَقَدَ الحُبَا[٧٥]

ومن بديع تضمينه، توظيفه للمثل العربي" الحديث ذو شجون"[٧٦] الذي ينقله من عالم السرد والحكاية إلى عالم القتال، فإذا كان الحديث- بمنطوق المثل- ذا طرائق متعددة ومتشابكة فإن حديث سيفه في أعناق العدا حديث واحد هو البطولة والشجاعة، وإذا كان الحديث- بحسب المفهوم من المثل-مرتبط بالقص والخيال فإن حديث سيفه مرتبط بالواقع الملموس، فحديث سيفه أو مجده إذا صورة تُرى وتسمع(واقع)لا قصص تسرد(خيال):

وتَحَدَّثَتْ بِيضُ الصَّوارِم في الطَّلى

بحديث مَجْدِك والحَدِيثُ شُجُونُ[٧٧]

وتتأثر أداته اللغوية بأصداء الشعر القديم الذي بقي في روعه حتى إذا جرى نبع القصيدة استدعاه، فقوله:

عَزَمَاتُ مَنْصُورِ العَزَائمِ غَالِب

ضَمِنتْ فُتُوحَ مَشَارقٍ ومَغَارِب[٧٨]

يذكرنا بقول المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزَائِمُ

وتَأتِي على قَدْرِ الكِرَامِ المكَارِمُ[٧٩]

ولا يقتصر تأثره بالمتنبي، بل نجده كما يقول شفيق الرقب" ينقل بعض معاني البحتري وقوافيه وطريقة نظمه"[٨٠] إذ يقول الشواش:

يمضي لأمْرِ الله غَيْرَ معرَّجٍ

مُتَوجِّهًا بالنَّصرِ ضَرْبة لازِبِ[٨١]

بسَوابِقٍ كبَوارِقٍ ومَوَاكِبٍ

كَكَوَاكِبٍ وجَنَائِبٍ كخَبَائِبِ

يَقْضِي فَيُمْضي كُلَّ حَقٍّ واجِبٍ

إلا إذا أعطى فَفَوْقَ الواجِبِ

تَلْقَاهُ آسَادُ الوَغَى وكُمَاتُها

فكأنَّما يَلْقاهُ سِرْبُ كَوَاعِبِ

فإنه يغير على البحتري في قوله[٨٢]:

وإذا رأيْتَ الهَجْرَ ضَرْبَةَ لازِبٍ

أبدا رأيْتَ الصَّبْرَ ضربةَ لازبِ

ببوارِقٍ كطرائقٍ وخلائِقٍ

كخلائِقٍ وضَرائِبٍ كضرَائِبِ

ومَوَاهِبٍ كَعْبِيةٍ وهيبةٍ

يوجِبْنَ في الإفضال فَوْقَ الوَاجِبِ

ما كان أحْسَنَ هذه من وَقْفةٍ

لو كان ذاك السِّرْبُ سِرْبَ كَوَاعِبِ

وتتعدد وسائله الأسلوبية في تبليغ خطابه الشعري ومنها، الحذف، كحذف المبتدأ(العمدة) تاركا الخبر مفصحا عنه ودالا عليه، ويكثر هذا في حديثه عن الخليفة، ومنه:

نَدْبٌ أشَمُّ الأنْفِ إنْ سُئِل الذي

لا يَرْتَضِي ثَارَتْ له أنَفَاتُه[٨٣]

ريَّانُ من ذاك النَّعِيم هَنَا له

وصَفَا له اليَنْبُوعُ وهو مَعِينُ[٨٤]

فقد حذف المبتدأ "هو" في البيتين السابقين؛ لأن المتحدث عنه معلوم وواحد، لكن صفاته التي يريد الإخبار عنها كثيرة ومتنوعة، "ريان-ندب-أشم". ويحذف جواب "لولا" في قوله:

فلولا نـدًى فـي راحتيـه تَلَهَّبَا

ولولا اسْتعَارُ البَأسِ فيه تـسَـرَّبا(٨٥)

فلولا الندى الكامن في يديه لتلهبت العامة فاقةً، ولولا شدة بأسه لتسرب الخوف إليهم. ومثلما تتنوع أساليبه في **الحذف**، تتباين دلالاته ومقاصده، وإن كان يسعى في خاتمة المطاف إلى أن يسبغ على شعره دلالات كثيفة، وظلالا وارفة من المعاني. فمن الحذف، حذف أداة النداء:

أمِيرَ المُؤمِنين جَـزَتْكَ عَـنَّا

جَـوَازِي الخَيرِ ما جَنَبَتْ جَنُوبُ(٨٦)

أمـيـنَ الـلـهِ قـد وَفَّـيْـتَ عَـدْلاً

وفَـضْلاً والإلَـهُ هـو الـمُـثِـيبُ

وهو إذ يسقط أداة النداء "يا" فإنه لا يشعر بقرب الممدوح منه فحسب، وإنما يتلهف في الوصول إليه ذكرا اسمه، أو وصفه المحبب إليه" أمير المؤمنين-أمين الله". وليس من شك أن أسلوب الحذف يتيح للقارئ فرصة أكبر للتخمين وتوسيع ماعون الدلالة، وبالتالي يسبغ على النص كثافة معنى، وفيوض دلالة.

وعلى نحو ما يفيد من الحذف يلجأ إلى **الذكر** إذا أراد تأكيد المعنى، وترسيخه في روع القارئ، وتوضيحه بصورة لا ينازع المتلقي شك، أو يحوجه تأويل، مثل قوله ذاكرا-"هي"- البيعة التي رضي الله عنها في سمائه، وباركتها الخلق إذعانا لمباركة السماء:

هـي بَـيْـعَـةٌ رَضِـي الإلـهُ مَقَامَها

وأُتِيحَ فيها اليُمْنُ والتَّـأمِـينُ(٨٧)

ومن بديع الذكر قوله مخاطبا الخليفة يوسف:

أنْـتُـم لأهـلِ الأرْضِ أوْثَـقُ عِصْمَةٍ

وبـأمْـرِكِـمْ عُطِفَتْ عليه حَـيَـاتُـه(٨٨)

فالذكر في قوله "أنتم" لا يؤكد أحقية عصمة الخليفة، بل اقتصارها عليه وحده دون سواه.

ويكثر من أسلوب التقديم، أو تقديم ماحقه أن يتأخر، كأن يقدم أحرف الجر "الفضلة" ويجعلها في أول البيت، مثل:

بِـأمْـرِكَ أُسْـمِـعَ الـدَّاعِـي الـمُـهِيبُ

وسَـعْـدِك يُـسِّرَ الـفَـتْـحُ الـقَرِيبُ(٨٩)

فـي الله أعْـمَـلَ سَـعْـيَـهَ فَـحَـوتْ له

جَـمْـعُ الفَضائلِ والـعُلا مَسَعَاتُه(٩٠)

في الله أعْمَلها على بُـعْدِ المدى

فَجَزَعْنَ غَـوْلَ مَفَاوزٍ وسَبَاسِبِ(٩١)

ونلاحظ أن هذا السبيل يميل إليه في التعبير عن القصر والاختصاص، وخاصة في حديثه عن الخليفة الموحدي، فبأمر الخليفة وحده سمع النداء وبسعده تم الفتح، وفي سبيل الله- وحده- كان سعيه وأمره وعزمه.

وللشواش مقدرة لغوية ومعرفة عميقة بدقائق اللغة، وربط الجمل أو وصلها بعضها ببعض، تارة بالأحرف العاطفة، وتارة بالاستغناء عنها، فمن الأولى قوله:

يَـقْـضِـي فَيُمْضي كُـلَّ حَـقٍّ واجِـبٍ

إلا إذا أعـطـى فَفَوْقَ الـواجِبِ(٩٢)

فقد عطف بالفاء في قوله" فيمضي "على الفعل" يقضي"، أو بمعنى ثان عطف إنفاذ القضاء" يمضي" بسرعة على الحكم به

"يقضي"، فالفاء التي تفيد العطف دون تراخٍ تناسب المقام، لأن القضاء إذا تهاون في الإنفاذ ضاع الحق. ومثلما يفيد الترتيب والتعقيب في مواضع يحسن التراخي في أخرى:

سَـــاسَ الأنـــامَ فـأُمِّـلَـتْ نَـعْـمـاؤُه

ونوالُــهُوتُخُـوِّفَـتْنَـقَـمَـاتُــه(٩٣)

انظر كيف راوح بين الفاء في قوله" فأملت" والواو في" نواله وتخوفت"، فالأمل بحصول النعمة والرجاء بتغيير الحال- عقب وصول الخليفة للحكم - أسرع من الخوف من غضبه، فعطايا الخليفة سابقة ومتعجلة، أما غضبته فمتراخية عنها؛ لأنها تفتح باب التوبة والأوبة للحق. إن أدوات العطف تلعب دورا في أداء المعنى، وقد كان ابن الأثير مصيبا إذ وصف موضعها بأنه" لطيف المأخذ، دقيق المغزى"(٩٤). وعلى أهمية العطف في خلق الترابط وتبليغ الخطاب إلى المتلقي قد يكون الاستغناء عنه أكثر أهمية من ذكره:

بُشْرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَهْدَها

البَرُّ التَّقِيُّ الطَّاهِرُ الـمَيمُونُ(٩٥)

نَـدْبٌ أشَـمُّ الأنْـفِ إنْ سُئِـل الـذى

لا يَرْتَضِي ثَـارَتْ لـه أنَفَـاتُــه(٩٦)

عــادَاتُ مُـخْـتـرِمِ الـعُـدَاةِ مُـظَـفَّـرٍ

مُغْتَالُ كُــلَّ مُعَانِدٍ ومُـحَـارِبِ(٩٧)

ففي البيت الأول يصفه" بالبر التقي الطاهر الميمون"، وفي البيت الثاني" ندب أشم"، وفي البيت الثالث" مخترم ومغتال"، وهو في كل موضع من المواضع أعلاه يشير إلى أن" هذه الصفات كأنها تلاقت من داخلها وشكلت صفة واحدة تشتمل عليها دون أن يكون هناك إشعار بأنها صفات متغايرة، وإن كانت كذلك في الواقع- فلو قال في البيت الأول مثلا، البر والتقي والطاهر والميمون-لأعلنت الواو بتغاير هذه الصفات واستقلالها، وأنها تتلاقى فيه كما تتلاقى الأشياء المتعددة والتي يجمعها شيء خارج عنها"(٩٨)، والشواش لم يترك سبيلا يؤكد به معانيه، أو يعضد به أحقية الموحدين إلا وسلكه، انظر إفادته من البدل" أمر الله- حبل الله" في تأكيد المعنى وتقويته في قوله:

الأمْـــرُ أمْـــرُ الـلـه وهـو مُـؤيَّدٌ

والحَبْلُ حَـبْـلُ اللهِ وهـو مَتِينُ(٩٩)

سبق أن أشرنا في موضع سابق من هذه الدراسة إلى أهمية المبالغة في قصيدة المديح بوصفها أحد أهم عناصر البناء، وأداء المعنى وترسيخه، والحق أن الشواش قد ألح في سبيل تحقيق هذا المقصد على" بعض الصيغ اللغوية التي تنتظم في بنى تركيبية محددة تتجلى من خلالها دلالات المبالغة داخل السياق الشعري"(١٠٠)، ومنه هذه الصيغ، الجمل الشرطية:

مَـنْ يُـصْـفِ حُبَّك أُسْـعِـدَتْ أحْـوَالُـه

ومِثَــالُــــه وَتُـقُـبِّـلَـتْ قُــرْبـاتُه(١٠١)

مَـنْ يَقْتَدِي بك يَهْتَدِي أو من يَـرُمْ

سُـبُـلَ النَّـجَـاةِ فـأنْـتُـمُ مَنْجَاتُه

انظر كيف استقام له أن جعل الهداية مشروطة بالاقتداء به والنجاة رهينة باتباعه. ومن أدوات المبالغة" لو" الشرطية:

لـو تَـعْـلَـمُ الـوحْـشُ الـغَـوادِي بأسَهُ

لـم تَسْتَعِدّ لصَيْدِها بمَخَالِبِ(١٠٢)

ومن أدواتها أيضا صيغة فاعل (سامى-طاول-عاجل) التي "تدل على وصف الفاعل الموصوف بالحدث على سبيل الانقطاع والتجدد"(١٠٣):

سَـامَـى وطَـاولَ في سَـمَـاواتِ الـعُلا

صَعْدًا وَعَاجل غَرْسَه ثَمَراتُه(١٠٤)

المعجم الشعري:

لما كان الشعر الذي بين أيدينا يدور كله حول محور المديح كان من الطبيعي بمكان أن تطغى عليه الصفات المدحية، فضلا عن حقول دلالية أخرى مرتبطة بمعجم المديح. من خلال استقرائنا للنصوص نستطيع أن نقسم حقول معجمه إلى المحاور التالية:

الألفاظ الدينية: لا غرو أن تسيطر الألفاظ الدينية على معجمه، خاصة والـروح الديني كان هو اللون الغالب على دولـة الموحدين: ومنها: "الهُدى- الهدي- التُقى-الحق-الرشد-البر-الطهر-الصلاح-حبل الله-أمر الله-العصمة-الإيمان-الكفر)

معجم صفات المديح: منصور العزائم-منصور اللواء- عدلك- حلمك- دليل الحائرين-الناصر المنصور- خدن التقى- سهل الجوانب-خير من ملك الـورى- أمير المؤمنين- ملك الملوك- الندب- ملاذ المعتفين)

معجم الحرب والقتال: الوغى- الحروب- القنا-البيض- المشرفي- السابغات- الردى- الموت الزؤام- الأرماح- القسي- الرماء- الكنائن)

الطبيعة الوحشية: العوادي- مخالب الصيد-آساد الوغى- المفاوز- السباسب- القفر الممحل-تنوفة- حنادس- غياهب- الذئب- الزئير)

الطبيعة الأليفة: الينبوع- الروض- النسيم-المزن- الرشا- الجوزاء- السماك الرامح- بدر السماء- الدوح- الزهر)

كذلك لم يخلُ شعره من العبارات الجاهزة التي تعين الشاعر وترفده إذ أرتج عليه القول، أو انسدّ أمامه الأفق، ومنها" الطريق اللاحب- الموت الزؤام- الحرب الزبون- ضربة لازب وغيره"، والشواش وإن أفاد من التعبيرات الجاهزة لكنه لم يظل عالة عليها، بل اصطنع لشعره معجما خاصًا به، وابتكر علاقات لغوية جديدة اخترق بها العرف اللغوي الموروث، أو الأكلشيهات القديمة، فالعلاقات الجديدة،" أو الكلمات الغريبة تحدث دهشة وتأملا فتثير السمع ويطرب لها المتلقي"(١٠٥)، ومنه:

غِـرٌّ لَـبِـيـبٌ والـعُـلُـوم لـدَاتُـه

والـمَـعْـلُـواتُ كرَائِـمًا دايَاتُـه(١٠٦)

فقد جمع" المعلوة" على" المعلوات" بدلا عن المعالي على نحو ما هو معروف، كذلك استخدامه لكلمة" دايات"(١٠٧)، وهي لفظة فارسية تطلق على القابلة أو الحاضنة. وقوله أيضا:

تَـرَامَـتْ بـي إلـيـك نَـوًى نَـدُوفُ

ورأيـي في اعْتِمَادِكُم مُصِيبُ(١٠٨)

والطرافة في قوله "نوى ندوف"، إذ استعارها من قولهم: ندفت الناقة في سيرها إذا أسرعت، وهنا يشير إلى أن الزمان رماه بعيدا، أو ربما بسرعة فلم يتح له فرصة الأوبة. ومن الجديد

قوله:

وَتَـقَـيَّـلَ الخُلْقَ الـرَّضِـيَّ فأُنْجِحَتْ

أضْحـاؤه وَتَـيَسَّـرَتْ طَلَباتُه(١٠٩)

فقد جعل " أضحاؤه" بدلا عن تضحياته، كما جمع لفظ "رعيل" على رعايل، بدلا عن أرعال أو رعال:

بـه رُعِـبـتْ رعـايـلُـهـا وكـانـت

سُدًى وأرِيـحَ سارِحُها الغَرِيبُ (١١٠)

وعلى غرار اهتمامه بألفاظه كان حريصا على تحسين معانيه والتجديد فيها، إذ لم يترك سبيلا لتجويدها إلا وسلكه، وعلى رأسه المحسنات المعنوية، ومنها، التضاد كقوله:

وَمُـلْـكُـك مَـهَّـدَ الـدُّنـيـا فَـقَـرَّتْ

وقد قَلِقَتْ بمَضْجَعِها الجُنُوبُ(١١١)

فقد جمع بين قرت(اطمأنت)وقلقت. ومن التضاد الجمع بين الكثرة والقلة في قوله:

كَـثُـرتْ فَضائِلُه فَـكَـاثَـرتِ الحَصَى

عَـدًا وقَـدْ قَـلَّـتْ بـه سَـنُـواتُـــه(١١٢)

ويبني بيتا كاملا على التضاد:

وعَـــمَّ فـذُو الـتَّـبـاعُـدِ والـتَّـدانـي

سَـوَاءٌ والحزُونـة والسُّهوبُ(١١٣)

فالتضاد بين "التباعد والتداني "و"الحزون والسهوب". ومن محسنات المعنى "اللف والنشر"، ومنه قوله جاعلا ترتيب النشر على ترتيب اللف:

ضَـمِـنَ الإلَـــهُ لِـكَفِّه ولِـسَيفِهِ

رِزْقَ الأنيسِ وكُلَّ وَحْشٍ سَاغِبِ(١١٤)

فقد ذكر الكف والسيف ثم جعل الرزق عائدا إلى الكف، والوحش الساغب عائدا على السيف بترتيبهما. وأحيانا يعدل عن الترتيب، أو بمعنى ثان يجعل النشر على غير ترتيب اللف:

تَصَوَّرَ شَخْصًا رُكِّبَ البَأسُ والنَّدى

صـريـحين فيـه للـعُـلا فَـتَـركَّبا(١١٥)

فلولا نـــدًى فـي راحتيه تَلَهَّبَا

ولولا اسْتعَارُ البَأسِ فيه تـسَـرَّبا

فقد ذكر في البيت الأول البأس والندى ثم أعادهما في البيت الثاني دون ترتيب مقدما الندى على البأس. ومن المحسنات المعنوية الجمع بين الأمور المتناسبة،" فالتناسب والائتلاف والمؤاخاة بين المعاني، أو مراعاة النظير كما يسميه القدماء"(١١٦)، سبيل ممتاز لتبليغ المعاني، وإقرارها في روع القارئ، ومنه:

أو أخْلَفَتْها مُـزْنَـةٌ بِـتَـنُـوفَـــةٍ

فـاضَـتْ أنَـامِـلُـه بِقَطْرٍ سَـاكِـبِ(١١٧)

في حيث صَـوْتُ الـمَشْرَفِيِّ مُرجَّعٌ

يَشْدُو فتُطْرِبُ في الطَّلى نَغَمَاتُه(١١٨)

شَـهِـدَتْ بِفَضْلك صَـادِقَـاتُ وَقَـائِـعٍ

لم تَلْتَبِسْ بـشُهُـودِهنَّ ظَـنِـيـنُ(١١٩)

لـو تَـعْـلَـمُ الـوحْـشُ الـغَـوادِي بأسَهُ

لـم تَسْتَعِدّ لصَيْدِها بمَخَالِبِ(١٢٠)

فقد ناسب في البيت الأول بين "المزن والقطر"، ولائم في البيت الثاني بين "الصوت والنغم"، وفي البيت الثالث ناسب بين "الشهادة

والمتهم (الظنين)"، أما في البيت الرابع فلائم بين "الوحش والمخالب". ويلجأ إلى المقابلة في التعبير عن علاقة الخليفة برعيته وموقفه من أعدائه في قوله:

فتَمُرُّ يُمْنًا بالرِّضا لمُسَالمٍ

وتمُرُّ بَرْحًا بالرَّدَى لمُحَارِبِ (١٢١)

فقد قابل بين اليمن(التفاؤل) والبرح(التشاؤم)، والرضا والردى، ومسالم ومحارب. ومن بديع المقابلة تبيين حال من التحق بركب الموحدين (فوز من لبى) ومن أعرض عنهم (ويل من أبى):

إمَامُ هُدًى يدعو إلى الحَقِّ مُعْلِنًا

فيا فَوْزَ من لَبَّى ويا وَيْلَ من أبَى(١٢٢)

ويفيد من تأكيد المدح بما يشبه الذم في تأييد الخليفة وتأكيد غلبته وانتصاره:

مَلِكُ المُلوكِ مُؤَيَّدٌ لَكِنَّه

غَلَبَتْ عليه من التُّقَى مَلَكاتُه (١٢٣)

ومن المشاكلة-وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته(١٢٤)- قوله:

فِدَاكَ سِوَاك أن تُمْنَى بخَطْبٍ

وأنْ تَحْتَلَّ شَعْبَكُمُ شَعُوبُ (١٢٥)

فأصل القول أن" يحتل شعبَكم أعداؤُكم" إلا أنه عدَل عنها لشَعُوب(الموت) لمشاكلتها لما تقدم (شعبكم). ومن المحسنات أيضا، رد الأعجاز على الصدور، وهو "أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني"(١٢٦)، وشعر الشواش معرض كبير لضروب مختلفة منه، مثل:

ويَهُبُّ من ريحِ الجلادِ نَسِيمُها

فَتَشُوبُه وَتَهدُّه هَبَّاتُه(١٢٧)

يَقْضِي فَيُمْضي كُلَّ حَقٍّ واجِبٍ

إلا إذا أعطى فَفَوْقَ الواجِبِ(١٢٨)

وتَحَدثَتْ بِيضُ الصَّوارِمِ في الطُّلى

بحديث مَجْدِك والحَدِيثُ شُجُونُ (١٢٩)

حَنَّتْ مُطَهْمَةُ الجيادِ ليومها

فَصَهِيلُها شَوْقٌ لها وَحَنِينُ(١٣٠)

والحق أن أحلى أنواع رد الأعجاز على الصدور وأكثرها تأثيرا، إذا كان اللفظ الأول في صدر المصراع الأول والثاني في آخر البيت، ولعل ميزة الحسن فيه ترتد لكونك إذا قدمت ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب، ولا تنقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها"(١٣١)، ومهما يكن الأمر فإن رد الأعجاز على الصدور لا يؤكد المعنى، أو المعاني التي يرمي إليها الشاعر ويرسخها في روع المتلقي فحسب، بل يجعل "أول الكلام دال على آخره، وآخره مرتبط بأوله، وهذا عينه قصد البلاغة ووكدها"(١٣٢).

والواضح من النماذج التي ذكرناها أنه يتعذر عليك أن تجد بيتا في شعر الشواش يخلو من محسن بديعي، ولعل هذا يدحض قول أحد الباحثين "ولم يكن الشواش الشلبي- وله عدة قصائد جهادية- معنيا بتزويق شعره وتنميقه بالمحسنات البديعية"(١٣٣).

والحق أن الشواش كان ابنا بارا للعصر الذي أظله، وللروح الأدبية التي طغت عليه، فلم يكن

ليخالف الذوق الأدبي السائد حينها، وهو الاحتفاء بالصبغ البديعي بوصفه أحد المقاييس الأدبية.

الموسيقى:

لم يخرج الشواش في شعره من العروض الخليلي إلى غيره من الفنون التي شاعت في عصره كالموشحات أو الأزجال، فكان أن نظم على الكامل والطويل والوافر، أما قوافيه فمعظمها على روي الباء والتاء والنون، وبالتالي لا تفصح موسيقاه الخارجية عن شيء ذي بال. لكن موسيقاه الداخلية تشي بعنايته الشديدة بالإيقاع الداخلي، وحرصه عليه، إذ هو أحد العناصر التي تدل على براعة الشاعر كما تجعل الشعر عظيما ومؤثرا، ومن موسيقاه الداخلية، التصريع الذي حرص عليه في كل مطالعه:

عَـزَمَـاتُ مَـنْـصُـورِ الـعَـزَائـمِ غَالِبِ

ضَمِنتْ فُتُوحَ مَشَارِقٍ ومَغَارِبِ(١٣٤)

وَضَـحَـتْ بـأَنْـوَارِ الـهـدَى قَسَمَاتُه

وأَبَانَتِ الـهَدْيَ القَويمَ سِمـاتُه(١٣٥)

عَـهْـدٌ أنـارَ بـه الـهُدَى والـدِّين

واسْتُظِهر التَّأييدُ والـتَّمْكِينُ(١٣٦)

فالتصريع واضح في قوله "غالب ومغارب"، و"قسماته وسماته"، و"الدين والتمكين"، ولا شك أن للتصريع في أول القصائد أهمية كبيرة، ففضلا عن الإثراء الإيقاعي، كما يرتبط بقدرة الشاعر واقتداره، يقول قدامة بن جعفر:" والفحول المجيدون يتوخونه ولا يكادون يعدلون عنه، فهو يدل على اقتدار الشاعر وسعة بحره"(١٣٧). ويفيد من "الجناس" والقيم الصوتية التي يتحلى بها في إحداث ضرب من التناغم والانسجام، ومنه:

دانَـتْ لـه الـدُّنيا وكَـافَّـةُ أهْلِها

فَعَفَا وَعَـفَّ وسامَحَتْ عَطَفاتُه(١٣٨)

إسْـعَدْ وَلِـيَّ الْعَهْدِ واصْـعَدْ سَامِيًا

واللهُ رَبُّكَ نَـاصِـرٌ ومُـعِـيـنُ(١٣٩)

ويمزج بين الجناسين، التام-في ومضت الأولى بمعنى (لمعت) والثانية بمعنى(قطعت)- والناقص(صفحاته-صفاحه)، في قوله:

وَمَـضَـتْ بـبـرقِ غُـيُـومِـه صَفَحاتُه

وَمَضَتْ مضاءَ صِفَاحِه عَزَماتُه(١٤٠)

ويصطنع لونا من الجناس يجعله في قرار كل بيت، أو في آخر كلمتين من البيت:

أبـدَى لنا بـشَـبَـابـه وَمَـنَابِـه

عَجَبًا وظَاهَرَ حُسْنَه حَسَنَاتُه(١٤١)

وأفـادَهُ دَهْـرًا مُـفِـيدًا مُنْعِمًا

وُصِلَتْ بباهِرِ خَيْرِه خَيْراتُـه(١٤٢)

أمـيرَ الـمُـؤمِـنين جَـزَتْكَ عَـنَّا

جَوَازِي الخَيرِ ما جَنَبَتْ جَنُوبُ(١٤٣)

انظر المجانسة اللطيفة بين حسنه وحسناته، وخيره وخيراته، وجنبت جنوب. وليس من شك أن الجناس يثري الإيقاع، فالتبادل الصادر بين تماثل الكلمات تماثلا كاملا، أو ناقصا يطرب الأذن ويونق النفس، ويهز أوتار القلوب، إنه أشبه شيء بتخت موسيقى تام مختلف الأدوات، متناسق الأصوات"(١٤٤). ومن الموسيقى الداخلية نوع دقيق من **التقابل الأفقي**، وفيه تتساوى كل كلمة في صدر البيت مع الكلمة التي تقابلها في العجز، في وزنها الصرفي والعروضي:

فهُـنا ك / أ سَّسَ / بـا لتُّقى / بُـنْيا نَه

و هُنَاك/شَيَّدَ/بالـهُدَى/حُجُر اتُه[١٤٥]

فتَمُرُّ / يُمْنًـا / بـا لـرِّ ضا / لـمُسَا لمِ

وتـمُرُّ/بَـرْحًـا/بالـرَّدَى/ لـمُحَارِبِ[١٤٦]

لقد/رَضِيتْ/فيك/الخِلافَةُ/مُرْتَضًى

لما / أوْجَبَتْ /فيك/ الدِّيَانَةُ/ مُـجْتَبَى[١٤٧]

وأحيانا يجعل في شطر واحد:

إمَـامُ هُـدًى يدعو إلـى الحَقِّ مُعْلِنًا

فيا فَوْزَ مـن لَبَّى/ويا وَيْلَ من أبَـى[١٤٨]

والحق أن هذا التقابل يحدث إيقاعا متساويا تهش له الأذن، ولا تكاد تملّ سماعه. ويقوده حرصه على استكمال الإيقاع الداخلي أن تكون الكلمة التي تسبق كلمة القافية ذات ارتباط وثيق بها، أما على سبيل التلازم (أعاجم وأعارب-ابنا وأبا) مثل قوله:

أمضى إلى الشَّرْقِ القَصِيِّ عزيمَةً

نَـالَـتْ قِـيَـادَ أعَاجِمٍ وأعَارِبِ[١٤٩]

ويكفيه فَخْرًا يَضْمنُ الفَضْلَ والنُّهَى

بأن كان منك ابْنًا وكُنْتَ له أبَا[١٥٠]

أو على سبيل التضاد (غدواته روحاته- شرق وغرب) في قوله:

واسْتَقْبلوا في الـدَّهْرِ عُمْرًا بَاقِيًا

ما واصَلَتْ غَدَواتُـه رَوْحَـاتُـه[١٥١]

وأنْـجَـزَهُ في الفتح صَـادِقُ وَعْـدِهِ

فَمَكَّنَهُ في الأرضِ شَرْقًا ومَغْرِبَا[١٥٢]

ولا شك أن الـتلازم والتضاد في الأبيات السابقة لا يهيئان القارئ للقافية فحسب، بل يجعلانه يتلفظ بها قبل نطق الشاعر بها. فالقافية على هذا النحو تشعر القارئ بأنه مشارك في بناء النص. كما تنكب على بعض الضرورات الشعرية، ومنها قصر الممدود "اللواء" في قوله:

نُـصِـرَتْ كتائِبُه بمَنْصُورِ الـلِّـوَا

غَلَّاب كُـلِّ قَـرِيـعِ جَيشٍ غَـالِـبِ[١٥٣]

والإبقاء على الياء-لا حذفها- في فعل الشرط المجزوم:

مَـنْ يَقْتَدِي بك يَهْتَدِي أو من يَـرُمْ

سُـبُـلَ النَّـجَاةِ فأنْتُمُ مَـنْـجَـاتُـه[١٥٤]

فقد أبقى الفعلين المجزومين يقتدي ويهتدي على حالتيهما دون حذف الياء حفاظا على الوزن.

الصورة الفنية:

على غـرار اهتمامه بالتشكيل اللغوي والأسلوبي عني بتشكيل **الصورة الفنية** بوصفها أحد عناصر البناء الشعري ومقياسا لتفاوت الشعراء، وبها يغدو الشعر عظيما ومؤثرا، فالصورة "هي الجوهر الشعري لأنها الوحيدة القادرة على استكناه التجربة الشعرية، ونقل عالم الشاعر الداخلي"[١٥٥]، فضلا عن" نقلها للفكرة والعاطفة بأمانة ودقـة"[١٥٦]. أما دراستنا لها فستعنى بأدوات تشكيلها بحسب التصور القديم عند البلاغيين وهي دراسة التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز.

تفاوتت تشبيهاته ما بين الصور القديمة المحفوظة في ذاكرة كل شاعر، والتي يسهل استدعاؤها، وما بين الجدة والطرافة. فمن الأولى قوله مشبها كرم الخليفة الموحدي بالبحر نفعا

وأعطية:

وأنْـتُـم لـلـسمَـاحَـةِ بَـحْـرُ جـدوى

يَـفِـيـضُ ولا يَـلِـمُّ بـه نُـضُـوبُ(١٥٧)

ومن الثانية صورة الخليفة البطل الذي بلغت شجاعته مبلغا يرى فيه ملاقاة الأعداء أشبه بلقاء الحسان في لهفته عليهم، ورغبته فيهم، يقول:

تَـلْـقَـاهُ آسَـادُ الـوَغَى وكُمَاتُها

فكـأنَـمَا يَلْقاهُ سِرْبُ كَـوَاعِبِ(١٥٨)

ومن جديد التشبيه قوله:

طَلَعْتْ على الأعـداءِ سُحْبًا للردى

سَـالَـتْ دَمًـا بـأباطِحٍ ومَـذَانِـبِ(١٥٩)

فقد درج الشعراء على "تشبيه الجيش بالسحاب في الكثرة، لكن الشواش أوجد علاقة جديدة فالسحاب يحمل الماء والجيش يحمل الهلاك للأعداء"(١٦٠). ويعقد الشواش مشابهة بين عناصر لا علاقة بينها أو انسجام إلا في مخيلته المبدعة، انظر قوله:

يُلْهِيـه رَوْضٌ والـقَـنَا دَوْحَاتُـه

والْبِيضُ زَهْـرٌ والدِّمَا شُقْرَاتُه(١٦١)

والـسَّـابِـغَـاتُ مَـوَارِدٌ يَـشْـفِـي بـها

حَـرَّ الـصَّـدى وظِلالُـهُ رَايَـاتُـه

والشواش يرسم أدوات القتال على نحو جديد، فقد جعل من القنا دوحة غناء، ومن السيف زهرا، ومن الدماء التي ترقرق بين مغافر الأعداء ولحاهم شقرا" أي أُشرب بياضهم حمرة"، ولا ينسى أن يحيل الدروع(السابغات)موردا عذبا يشتفي منه الظامئ مع أن الدرع إلى دم العدو أظمأ، كما يحيل رايات الخليفة التي تخفق بالنصر ظلا يتفيؤه جنده، ولاشك أن اصطناع هذه المشابهة ينبئ بعبقرية الشواش، وقدرته الفائقة على تجاوز النمطي والسائد والإتيان بالغريب الجديد، يقول عبد القاهر الجرجاني "إن لتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير محلته، واجتلابه إليه من النيق البعيد بابا آخر من الظرف واللطف، ومذهبا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه في العقل"(١٦٢). وأحيانا يحشد التشبيهات في بيت واحد يكاد ينوء بكثرتها الكاثرة:

بسَـوابِقٍ كبَـوارِقٍ ومَـوَاكِبٍ

كَـكَـوَاكِـبٍ وجَـنَـائِـبٍ كـخَـبَـائِـبِ(١٦٣)

أما استعاراته فجاءت في معظمها متمكنة في موضعها، مبلغة للمعنى الذي تريده، ملائمة للسياق الذي وردت فيه، بل تكاد تنقلك من عالمك إلى عالم آخر ترى فيه" الجماد ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"(١٦٤)، ونحن لا نلقي القول على عواهنه، انظر لقوله:

وأظُـنُّ جَيشَ اللَّيل خَـافَ مَـغَـارَهُ

عند الصَّبَاحِ فجَدَّ عَزْمَةَ هَـارِبِ(١٦٥)

أمضى إلى الشَّرْقِ القَصِيِّ عزيمَةً

نَـالَـتْ قِـيَـادَ أعَـاجِـمٍ وأعَـارِبِ

تَـبْـدُو بها شَـمْـسُ الـنَّـهـارِ سَقِيمَةً

تشْكُو الضَّنى منها بِـلَـوْنٍ شَاحِبِ

والشواش إذ يجعل ظلمات الليل جيشا - على سبيل الاستعارة- فإنه يخيف أعداء الخليفة مرتين،

مرة بالظلمة المطبقة، ومرة بكثافة الجيش. كما ينقل الخوف والرعب من الخليفة للطبيعة، فالشمس ذاتها غدت سقيمة تشكو الضنى، وتتشح بلوت باهت شاحب، فالطبيعة بليلها(ظلمة) وشمسها(نورها)كلاهما يخافه ويختبئ منه. ومن بديع الاستعارة المكنية قوله:

رَضِعَ الخِلافَةَ نَاشِئًا في حجرها

وَغَذَتْهُ حَامِلَةُ الرَّضاعِ لَبُونُ[١٦٦]

فالخليفة لم يترك مهاد الملك وإنما رضع أثداء الخلافة وارتوى منها نهلا وعَلَلا، فلِبَانُ الخلافة إذا هو شربه وغذائه. ومن الصور الاستعارية الجميلة صورته وهو يقابل بين عيون الدين وطرف الكفر:

مُلَأَتْ عُيونُ الدِّينِ منها قُرَّةً

وارْتَدَّ طَرْفُ الكُفْرِ وهو سَخِينُ[١٦٧]

فالاستعارة جميلة ما بين عيون الدين التي قرت فرحة وسعادة، في مقابل طرف الكفر الذي ارتد خاسئا حسيرا، فمثلما للسرور دمع بارد "قرت" يثلج القلب وينثر الفرح، فإن للحزن دمعا حارا" سخين". ويمزج بين الاستعارة" حنت الجياد" والتشبيه" صهيلها شوق" في قوله:

حَنَّتْ مُطَهَّمَةُ الجِيادِ ليومها

فَصَهِيلُها شَوْقٌ لها وَحَنِينُ[١٦٨]

والشواش لا يجعل الخيل تحن للحرب والقتال فحسب، بل جعل صهيلها دليلا على شوقها له وحنينها إليه. وتكثر في شعره العلاقات المجازية على شاكلة (نار الحق-سحب الردى-غمام السعد-مطلع الرضى-عاتق الجوزاء- علم الهدى-زند السعادة-قياد الهوى-حجر المعالي.....)

أما الكناية فكانت ضنينة جدا في شعره إذا قيست بنظائرها، ومنها تكنيته عن كثرة الترحال بقوله " قلق المطايا":

عَجِبَ الورى من شَامِخٍ سَامِى الذُّرى

قَلِقِ المطايا مُدْلَجٍ أو سَارِبِ[١٦٩]

وتتعدد المصادر التي يستوحي منها صوره الفنية، ومنها القرآن الكريم، فقوله:

يا سَعْدَ دِينِ اللهِ أفْلَحَ حِزبُهُ

وَهَوَتْ عِداهُ في عَذَابٍ وَاصِبِ[١٧٠]

ونلاحظ اقتباسه للصورة القرآنية في قوله تعالى "وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ"[١٧١]دون تحوير لها، بل يبقيها على النحو الذي وردت فيه، فإذا كانت الآية الكريمة تتحدث عن الشياطين الذين يدحرون في العذاب الموجع يوم القيامة فالشواش يتحدث عن أعداء الله، أو حزب الشياطين، أعداء الدين والخليفة الموحدي، والمآل الذي انتهوا إليه، إذا لا يختلف سياق الآية عن سياق الشواش، فكلاهما الشياطين وأعداء الخليفة انتهيا إلى سوء المصير أو العذاب الواصب. ويستل صوره من الميثولوجيا الشعبية مثل قوله:

فتَمُرُّ يُمْنًا بالرِّضا لِمُسَالِمٍ

وتمُرُّ بَرْحًا بالرَّدَى لِمُحَارِبِ[١٧٢]

انظر كيف تهيأ له أن يفيد من التصور الشعبي للفأل الحسن المرتبط باليمين تفاؤلا في مقابل الشؤم المرتبط بالطائر الذي يغدو شمالا، أو ما يعرف عند العرف بالبارح. فاليمين صورة لرضا الخليفة عن رعيته أو المُسَالِمة، والشمال(البارح)صورة لسخطه على الخارجين أو الأعداء. ويفيد من الثقافة الشعبية لاسيما

المرتبطة بالرقية لدفع الأذى والعين، فها هو يعوذ الخليفة الموحدي بسورة "يس" ليمنع عنه الحسد، ويدفع عنه العين:

حــازَ الــعُلا فـكَـمَـالُـه وَخِلالُـــهُ

تُـتلَى لـهنَّ مُـعَـاذَةً يـاسِـينُ (١٧٣)

وأحيانا ينتزع صـوره من أجـواء البادية المحضة لدرجة لا تجعلنا نحار في هذا النزوع فحسب، بل نوشك أن نقول إنه قد ولد في البادية، وارتضع ألبانها، وتـداوى بأبوال نوقها، مثل صورة المرضع التي تحنو على الخليفة صغيرا في المهد والتي يمثلها بناقة تحنو على وليدها وقد أصدرت صوتها(حنينها)، ومدت عنقها-من عل- إليه شوقا وحنانا:

وَحَـنَتْ إلـيه حَـانِـيَـاتٌ للـعُـلا

بِمَكانِـه مِنْ عُـلْـوهنَّ مَكِـيـنُ (١٧٤)

وقبل أن نغادر دراسة الصورة عنده نشير إلى ولعه بالصورة الصوتية:

ولــرُبَّ صَــوَّالِ الـزَّئـيـرِ حَطَمْتَـه

فـغدا لـه بـعد الزَّئِـيـرِ أنِـيـنُ(١٧٥)

وقوله:

حَـنَّـتْ مُـطَـهْـمَـةُ الـجِـيــادِ ليومها

فَصَهيلُها شَوْقٌ لها وَحَـنِـينُ (١٧٦)

فالصورة في البيت الأول توظف الصوت توظيفا فنيا، فقد جعل صوت العدو- قبيل القتال- كصوت زئير الأسد رهبة وقوة حتى إذا التقى بالخليفة فَقَدَ جلجلته وذهبت شدته، واستحال إلى أنين فيه الوجع والألم. وفي البيت الثاني يجعل للقوس- وقد عطفه مؤطره، أو عُطِف من طرفيه ليرسله لأعداء الخليفة- صوتا يشبه صوت الأنين.

بناء القصيدة:

ضرب الشواش في مقدمة قصائده صفحا عن المقدمات التقليدية من غزل ونسيب، وقطع مفاوز وقفار، واختار مقدمات تلائم الموقف النفسي الذي يقفه، أو اللحظة التي يعبر عنها، لذلك تفاوتت مطالعه، وهي وإن كانت كلها تدور في فلك المديح إلا أن الشواش كان مدركا أن التهنئة بالبيعة غير التهنئة بالنصر على الأعداء، أو مباركة العيد السعيد، يقول الشواش مهنئا يوسف بن عبد المؤمن وقد آلت إليه الخلافة:

عَـهْـدٌ أنـارَ بـه الـهُدَى والـدِّين

واسْتُظِهر التَّأييدُ والـتَّمْكِينُ(١٧٧)

بُـشْـرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَهْدَها

الـبَـرُّ الـتَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ الـمَيمُونُ

نَجْلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الخُلُقِ الرِّضَى

يـبـدو علـيـه هَدْيُـه ويَبِـيـنُ

النَّاصِرُ الـمَنْصُورُ أوضَـحَ نَهْجَهُ

فـي الـصَّـالـحـاتِ فَنُجْحُه مَضْمونُ

فهو إذ يبدأ مدحته بالحديث عن العهد، ويقصد به العهد الذي قطعته الدولة الموحدية على نفسها منذ نشأتها والتزمت به (الهدى والدين) فإنه يتخلص مباشرة إلى اصطناع مفارقة لطيفة، فبدلا من تهنئة الخليفة بالخلافة نراه يبشر الخلافة نفسها به، ويسوق مبررات بشارته لها، إذ تقلدها البر التقي الطاهر الميمون، ثم يرتد إلى الماضي مرة أخرى ليؤكد أن صفات الخليفة الجديد (نجل

الإمام) إرث متسلسل من لدن آبائه الأئمة.

والشواش يتنقل في مقدمته بين الأزمنة ليؤكد من خلال هذا الانتقال صدق النتيجة التي يصل إليها، أو صحة الأطروحة التي بنى عليها مقدمته، فإذا كان ماضي الدولة الموحدية هو الهدى والدين، والخليفة الجديد (الزمن الحاضر) هو نجل الإمام نسبا، والخلق القويم سلوكا ومنهاجا، فلا شك أن المستقبل الذي ينتظره هو النصر والتأييد (الناصر المنصور) على أعدائه. والشواش يعلم أن لكل مقام مقالا يناسبه ويعبر عنه، ففي تهنئته لعبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين بنصره على أعدائه في وقعة السبيكة، يقول:

عَـزَمَـاتُ مَـنْـصُـورِ الـعَـزَائِـمِ غَالِبِ
ضَمِنتْ فُتُوحَ مَشَارِقٍ ومَغَارِبِ(١٧٨)
يـا سَـعْـدَ دِيـنِ الـلـه أفْـلَـحَ حِـزبُـهُ
وَهَـوَتْ عِـداهُ فـي عَـذَابٍ وَاصِـبِ
أولـى لأشْـيَـاعِ الـغَـوايـةِ والـرَّدى
ووراءَ نـــارِ الحقِّ أنْـجَـحُ طَالِبِ
يـمضي لأمْـرِ الـلـه غَـيْـرَ مُـعـرِّجٍ
مُتَوجِّهًا بـالنَّصرِ ضَـرْبَـةَ لازِبِ

ويوفق شاعرنا في اختياره الواعي للألفاظ التي تناسب هذا المقام، مثل اختياره لمفردة عزمات-جمع عزمة-التي تعني الثبات والصبر فيما يُعْزم له، ثم يلحقها بمنصور العزائم وبالغالب المنتصر في نعته للخليفة، ثم يبشر بعد ذلك بفتح البلاد شرقا وغربا مع أن الفتح لم يحدث بعد. ويأتي في البيت الثاني مهللا بالنصر المؤزر ومنذرا أعداءه بعذاب مقيم ودائم. والشواش يرى- كما يرى معظم الأندلسيين- أن الخليفة الموحدي تجاوز بحر الزقاق نصرة للدين الحنيف، وتخليصا للأندلس من براثن الأعداء لذلك وصفه بحزب الله ووصف أعداءه بشيعة الغواية والردى، ويأتي في البيتين الثالث والرابع ليؤكد أن حزب الله أو حزب الخليفة الماضي بنار الحق وسواء السبيل متوج بالنصر لا محالة (ضربة لازب).

إن معظم مقدماته تعددت ولم تسلك سبيلا واحدا، لكنها جاءت مناسبة للمقام الذي عبرت عنه. وعلى نحو ما يخلع الجلبة والقوة في تهنئته للخليفة النصر المؤزر نجده ينثر الفرح ويبث الحبور مغتبطا بمبايعة الأمير محمد بن عبد المؤمن وليا للعهد:

أهـابَ بـه داعِـي الـحيـاةِ مُـثَـوِّبـا
فبَـادَرهُ واسْتَنْجَدَ الـرِّيحَ مَـرْكِبَا(١٧٩)
وأزْمَـعَ يَقْتَادُ الهوى فـي مُـرَادِه
ويَنْحُو سَحَابَ الخَيْرِ حيْثُ تَسَحَّبَا
بحَيْثُ غَـمَـامُ السَّعْدِ يَنْشأُ حَـافِلًا
فَيَهْـمِـلُ دَفَّـاقًـا وَيَـنْـهَـلُّ صَيِّـبَا
وَتَنْبَعِثُ الأنْـوَارُ من مَطْلَعِ الرِّضَى
فتُوضِحُ للحيرانِ نَـهْـجًا ومَذْهَبَا

فالمفردات (داعي الحياة- يقتاد الهوى- سحاب الخير- غمام السعد- مطلع الرضا) لا تبشر الناس بالسعادة والأمل والتفاؤل فحسب، بل تنقل عدوى الفرح إلى الطبيعة المحيطة به، فالهوى ينقاد، والغمام يسعد، والسحب تهطل خيرا. ومهما يكن

الأمر فإن مقدمات الشواش جاءت ملائمة للأفق الذي تعبر عنه سواء في اختيارها للمفردات، أو في رسمها للصور.

أما خواتيم قصائده المادحة فغلب عليها الدعاء، تارة برعاية الله للخليفة وحفظه له، أو بطول العمر أو العيش في حبور:

يَرْعَاكَ مَنْ يُرْعِيكَ عَهْدَ عِبَادةٍ

ويَقُولُ للأشْيَاءِ كُنْ فَتَكُونُ(١٨٠)

واسْتَقْبلوا في الدَّهْرِ عُمْرًا بَاقِيًا

ما واصَلَتْ غَدَواتُه رَوْحَاتُه(١٨١)

عِشْ يا أمِيْرَ المُؤمِنين بِغَبْطَةٍ

ووقَاكَ سَعْدُك كُلَّ خَطْبٍ نَائِبِ(١٨٢)

باستثناء قصيدة واحدة ختمها بالاعتذار للخليفة، ونقدر تقدير الظن أنه يعتذر فيها للخليفة عبد المؤمن بن علي تخلفه-لأسباب قاهرة- عن حضور الحفل العظيم الذي عقده للشعراء عندما نزل بجبل الفتح سنة ٥٥٥هـ:

وما لي أنْ يُقَالَ قَصِيُّ دارٍ

نأى عنْهَا وَغُرْبِيٌّ غَرِيبُ(١٨٣)

فَاعْتَبَ خَائِفًا مِمَّا جَنَاه

وَأقْسَم أنَّهُ منها يَتُوبُ

فَعَفْوًا أيُّها المولى وَصَفْحًا

فكَمْ جَانٍ وَمُجْتَرِمٍ يُنِيبُ

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد جمعنا لشعر الشواش الشلبي ودراستنا له نستطيع أن نسجل النتائج الآتية:

لم يصلنا من شعر الشواش الشلبي سوى قصائد المديح، التي سارت -إلى حد ما- على خطى قصيدة المديح في عصر الموحدين القائمة على ترديد الأفكار المتصلة بدعوة الموحدين (كعصمة الإمام- الأمر أمر الله.....)، كما وازن بين صورتي الخليفة الدينية (الإمام المعصوم) والسياسية. وحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلا تعضيد أحقية الموحدين بالخلافة اعتمادا- جوار الجانب العقدي- على الأدلة المنطقية.

ثمة نزوع للروح البدوية في مدائحه سواء في ألفاظه، أو في رسمه لبعض الصور، فكثير من ألفاظه لا تكاد تنسجم مع معجم الشعر الأندلسي، بل تحوجك للمعجم بحثا عن معانيها، أما صوره فتخلو من صور الحضارة والمدنية التي لونت حياة الأندلسيين، فلا تكاد تسمع شقشقة عصافير، أو ترى خرير مياه، أو تشتم رائحة زهور، وقد يقول قائل إن ذلك بسبب أن ما وصل إلينا كله يدور حول المديح، لكن هذا الفرض لا يثبت للنقاش لأن شعر المديح نفسه يمكن أن يتلون بلون الحضارة والمدنية.

رفد الشواش لغته بالقرآن الكريم والأمثال العربية والشعر القديم، كما تعددت أساليبه اللغوية في أداء المعنى، فكان الحذف والذكر، التقديم والتأخير، والمبالغة التي جاءت في هيئات مختلفة (الجمل الشرطية- صيغة فاعل). كما أبان معجمه الشعري تمركزه حول الألفاظ الدينية، وألفاظ الطبيعة. كذلك لم يخلُ شعره من العبارات الجاهزة التي تعين الشاعر وترفد شعره، كما ابتكر علاقات لغوية جديدة اخترق بها العرف اللغوي الموروث، أو الأكليشيهات القديمة.

على غرار اهتمامه بألفاظه عُني بتجويد معانيه وتحسينها، فكان أن أفاد من اللف والنشر في إجمال المعنى وتفصيله، ومن التضاد في رسم صراعات الحياة وتقلباتها، ومن مراعاة النظير في إحداث ضرب من الائتلاف والتآخي بين المعاني.

لم تخرج موسيقاه عن العروض الخليلي وعن الأبحر الأكثر شيوعا، كالكامل والطويل والوافر، كما اهتم بموسيقاه الداخلية، فالتزم بالتصريع في كل مطالع قصائده، والجناس بشقيه، التام والناقص، كما أكثر من التقابل الأفقي، وتنكب على بعض ضرائر الشعر.

أما صوره الفنية فتميزت بتنوع وسائل بنائها (التشبيه- الاستعارة- الكناية)، كما تباينت تشبيهاته ما بين القديم المكرور والطريف المخترع، وأكثر من الاستعارة المكنية وتشخيص المعنويات وتجسيد المعقولات، مع حضور خجول للكناية. تعددت المصادر التي استوحى منها صوره (قرآن كريم- الثقافة الشعبية ...) وكان إذا أعجبته صورة عمد إلى إعادتها.

أما بناؤه للقصيدة فتميزت مطالعه بالجدة والطرافة، وكانت ملائمة تمام الملائمة للأفق الشعري الذي تعبر عنه، كما تفاوتت قصائده من حيث الطول، وغلب الدعاء للممدوح على خواتيم قصائده.

القسم الثاني:

عمدنا في هذا القسم(النصوص) إلى جمع وتوثيق كل ما توافر إلينا من شعر الشَّواش الشلبي سواء من المصادر الأندلسية أو المشرقية، ومن كتب التراجم وكتب الأخبار، وقد أسفر بحثنا وتنقيرنا بين المصادر عن مئة واثنين وثمانين بيتا، رتبناها على حروف المعجم ابتداء بالمصدر الأقدم تاريخا وصولا للأحدث مع إثبات الروايات المختلفة للأبيات، وعمدنا إلى شرح غامض اللفظ، ومعمَّى المعنى- قدر المستطاع- وأسمينا الأبحر الشعرية، وضبطنا الأبيات بالشكل حتى تسهل تلاوتها للمطلع، وانتجاعها للمنتجع.

ومهما يكن الأمر فهذا كل ما بلغناه من جهد ولأي في جمع وتوثيق شعر الشواش الشلبي، ولا شك أن هناك ما ندَّ علينا أو غفلنا عنه، فالحمد لله الذي جعل الكمال له والعصمة لأنبيائه.

شعره

١

من بحر الطويل

أهـــابَ بـــه داعِـــي الـحـيـاةِ مُـثَـوِّبـا ... فبـَـــادَرَهُ واسْـتَـنْـجَـدَ الـــرِّيـحَ مَـــرْكِبَا

وأزْمَـــعَ يَـقْـتَـادُ الـهـوى فـي مُـــرَادِه ... ويَـنْـحُـو سَـحَـابَ الـخَـيْـرِ حـيْـثُ تَـسَـحَّـبَـا

بـحَـيْـثُ غَـمَـامُ الـسَّـعْـدِ يَـنْـشَـأُ حَـافِلًا ... فَـيَـهْـمِـلُ دَفَّـاقًـا وَيَـنْـهَـلُّ صَـيِّـبَا

وَتَـنْـبَـعِـثُ الأنْـــوَارُ مـن مَـطْـلَـعِ الـرِّضَـى ... فـتُـوضِـحُ لـلـحـيـرانِ نَـهْـجًـا ومَـذْهَـبَـا

أقُـــولُ لـــوَفْـــدِ الـخـيـرِ إذْ جَـــدَّ جـدُّهُـم ... وقـد جُـشِّـمُـوا الأهْـــوالَ شَـــأوًا مُـغَـرِّبـا

وشَـــرَّفُـــهـــم قَـــصْـــدُ الإمَـــــامِ فـــجَـــرَّرُوا ... عـلـى عَـاتِـقِ الـــجَـــوْزَاءِ ذَيْلًا مُـسَـحَّـبَـا

هُـــدًى لـــمَـطَـايـاكُـم فـــإنَّ سَـبِـيـلَـهـا ... أبَـــرُّ سَـبِـيـلٍ مَـــقْـــصَـدًا وَتَـطَـلُّـبَـا

سـيـبُـدو لـكـم عـن سَـيْـرِكـم عَـلَـمُ الـهُـدى ... ويُـــورِي لَـكُـمْ زَنْـــدُ الـسَّـعَـادَةِ مُـثْـقِـبَـا

أرى جَـــبَلًا مـــن رحْـمَـةِ الـلـه خَـاشِـعًـا ... يَـخِـفُّ لـه رَضْـــوَى إذا عَـقَـدَ الـحُـبَـا

تَـصَـوَّرَ شَـخْـصًـا رُكِّـبَ الـبَـأسُ والـنَّـدى ... صريـحـين فيه لـلـعُـلا فَـتَـركَّـبَـا

فـلـولا نـــــدًى فـــي راحـتـيـه تَـلَـهَّـبَـا ... ولـولا اسْـتـعَـارُ الـبَـأسِ فيه تـسَـرَّبا

إمَـــامُ هُـــدًى يـدعـو إلـى الـحَـقِّ مُـعْـلِـنًـا ... فـيـا فَـــوْزَ مـن لَـبَّـى ويـا وَيْـــلَ مـن أبَـى

خَـلِـيـفَـةُ مَـهْـدِيِّ الـــورى وأمِـــيْـنُـــهُ ... تـــوَلَّاه فـي الْمَـحْـيَا وولَّاه مَـعْـقِـبَـا

حَـــوَاهُ أمِـيـنٌ للإمَـامَـةِ حَـافِـظٌ ... وأدَّى حُـقُـــوقَ الـلـهِ فـيـه وأوْجَـبَـا

وأنْـجَـزَهُ فـي الـفـتـح صَـــادِقَ وَعْـــدِهِ ... فَـمَـكَّـنَـهُ فـي الأرضِ شَـرْقًـا ومَـغْـرِبَـا

لـقـد رَضِـيـتْ فـيـك الـخِـلافَـةُ مُـرْتَـضًـى ... لـهـا أوْجَـبَـتْ فـيـك الـدِّيَـانَـةُ مُـجْـتَـبَـى

وبـالأمْـنِ والإيـمـانِ والـفَـوْزِ والـرِّضَـا ... ولِايَـةُ عَـهْـدٍ تُـطْـلِـعُ الـسَّـعْـدَ كَـوْكَـبَـا

ونُـوجِـيـتَ بـالـسـعـد الـذي قُـــدِّرتْ لـه ... فـأمْـضَـيْـتَ أمْـــرًا كـان أوْلَـــى وأوْجَـبَـا

هـو الـمـلـكُ الـمـيـمُـونُ فـي مَـطْـلَـعِ الـرِّضـا ... أنَـــارَ وفـــي حُـجْـرِ الـــمَـعَـالـي تَـرَبَّـبـا

فـأنـشـئ مـن صـفـو الـحـيـاة وسِـرِّهـا ... وبـــوئ مـــن مـغـنـاك غَـــيْلا مـؤشَّـبـا

ويـكـفـيـه فَـخْـرًا يَـضْـمـنُ الـفَـضْـلَ والـنُّـهَـى ... بـأن كـان مـنـك ابْـنًـا وكُـنْـتَ لـه أبَـا

التخريج:

الأبيات (١-١١)، في تحفة القادم ٦٥-٦٦، وفي الوافي :٩/ ١٠٨، الأبيات (١-٤) في المقتضب:١٠١ وفي البيان المغرب الأبيات (١، ١٢-٢١): ٣/ ١٣٥

قلت: حاولنا جاهدين أن نصطنع نصا متماسكا بين ما جاء به ابن الأبار وابن عذاري فتعذر علينا الأمر.

المناسبة:

قالها في مبايعة الأمير محمد بن عبد المؤمن بن علي بولاية العهد بمراكش سنة ٥٤٧ه كما يقول ابن الأبار، وسنة ٥٤٨ه على حد قول ابن

عذاري المراكشي.

المعاني:

مثوبا: داعيا

شأو مغرب: إذا ترك الشيء ونأى عنه

الجوزاء: نجم، والعرب تشبهه بامرأة تتوسط السماء وتحمل قوسا لتضرب به الأسد، واختار الجوزاء لأنها على صورة إنسان، وجعل للجوزاء عاتقا على سبيل الاستعارة.

٢

من بحر الوافر

بِـأمْـرِكَ أُسْـمِـعَ الـدَّاعِـي الـمُـهِيبُ ... وسَـعْـدِك يُـسِّرَ الـفَـتْـحُ الـقَرِيبُ

وَمُـلْـكُـك مَـهَّـدَ الـدُّنـيـا فَـقَـرَّتْ ... وقـد قَـلِـقَـتْ بـمَـضْـجَـعِـهـا الـجُـنُـوبُ

وهَـذْيُـك مَـلَّـكَ الأهْـواءَ طَـوعًـا ... فَـحَـنَّـتْ أنْـفُـسٌ وصَـبَـتْ قُـلُـوبُ

وعَـدْلُـكَ ألَّـفَ الأشْـتَـاتَ حَـتَّـى ... تَـوَادَّ الـذِيـبُ والـرَّشـأ الـرَّبِـيـبُ

وحِـلْـمُـك أرْجَـحَ الـشُّـمَّ الـرَّواسِـي ... فـمِـنْـهُ فـي شَـوامِـخِـهـا رُسُـوبُ

ورَوْحُـك وارتِـيـاحُـك لـلـمعـالـي ... تَـمَـايـلَ عـنْـهُـمـا الـغُـصْـنُ الـرَّطِـيـبُ

وَرَبْـعُـك لـلـعُـفَـاةِ إذا ألَـمُّـوا ... كَـصَـدْرِك إنَّـه -أبـدا- رَحِـيـبُ

تَـفَـادَتْ مـن سَـمَـاحَـتِـك الـعطـايـا ... وَعَـاذَتْ مـن بـسـالـتِـكَ الـحُـرُوبُ

قَـتَـلْـتَ صُـرُوفَـهـا قَـسْـرًا فمنها ... عـلـى شَـفَـقِ الـدُّجـى عَـلَـقٌ صَـبِـيـبُ

وَخَـافَـتْ مـنـك قَـاصِـيـةُ الـذَّرَارِي ... فَـيَـلْـزَمُ قَـلْـبَهـا ذاك الـوَجِـيـبُ

وجُـودُك فـي الـورى شَـيءٌ عَـجِـيـبٌ ... يُـرَجِّـمُ ظَـنَّـهُ فـيـه الـلَّـبِـيـبُ

ومـا فـي أمْـرِك الـصَّـدْقِ امْـتِـرَاءٌ ... وَلَـكِـنِّـي بِـخُـلْـفِـك أسْـتَـرِيـبُ

أمِـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ جَـزَتْكَ عَـنَّا ... جَـوَازِي الـخَـيـرِ مـا جَـنَـبَـتْ جَـنُـوبُ

ألا لـلـه مـنـك إمَـامُ صِـدْقٍ ... تَـقَـدَّس لايُـلِـيـمُ ولا يَـخُـوبُ

إمَـامُ الـدِّيـنِ والـدُّنـيـا بِـجِـدٍّ ... وَجَـدٍّ لا يَـمِـيـلُ ولا يَـخِـيـبُ

بـه رُعِـبَـتْ رعـايـلُـهـا وكـانـت ... سُـدًى وأرِيـحَ سـارِحُـهـا الـغَـرِيـبُ

وَصَـحَّ بـه الـزَّمـانُ فـكُـلُّ داءٍ ... عَـيَـاءٍ عَـالَـهُ مـنـه طَـبِـيـبُ

وَدَلَّ الحائرين على نَدَاهُ ... فَكُلُّ مُضِلَّةٍ لَقَمٌ رَكُوبُ

وعَمَّ فذُو التَّباعُدِ والتَّداني ... سَوَاءٌ والحزُونة والسُّهوبُ

مُفِيدٌ أو مُبِيدٌ مُسْتَمِرٌّ ... لحاليه كَسُوبٌ أو نَهُوبُ

تُنَافِسُ جُودَهُ السُّحْبُ الغَوَادِي ... فيبدو فَوْق أوجُهِها قُطُوبُ

ويَحْسِدُ نُوْرَه بَدْرُ الدَّياجي ... فَتَعْرُوه الضَّمانَةُ والشُّحُوبُ

وكيف وبينهم قُرْبى تُرَاعى ... وَكُلُّهُمُ حَلِيفٌ أو نَسِيبُ

أمينَ اللهِ قد وَفَّيْتَ عَدْلاً ... وفَضْلاً والإلَهُ هو المُثِيبُ

وقد وَهَبَ الرِّضَا لكُمُ وأيٌّ ... أراه إلى إرادَتِكم يُجِيبُ

دَعَوْتَ إلى الإله ففاز فَوْزًا ... عَظِيمًا سَامِعٌ لك مُسْتَجِيبُ

وعَلَّمْتَ الجَهُولَ فليس إلا ... عَلِيمٌ رَائِدٌ فَطِنٌ لَبِيبُ

فأوْسَعْتَ الأنامَ هُدًى يُرِيهم ... مَعَالِمَ دِينِهم وَنَدًى يَصُوبُ

فأنْتُم للجميع أبٌ عَطُوفٌ ... وَكُلٌّ في كَفَالَتِكم رَبِيبُ

تُقَضِّي شَهْرَ صَوْمِكَ مُسْتَدِيمًا ... وِصَالَك والمقامُ له حَبِيبُ

وَفَارَقَ غَيْرَ مُخْتَارٍ فَحَرُّ الـ ... ـهجِيرةِ من جوانِحِه لهِيبُ*

وَبَشِّر أنْ يُعَاودَكم فعنه ... تَبَسَّمَ للضُّحى ثَغْرٌ شَنِيبُ

ووافى العِيدَ والأيَّامُ عِيدٌ ... يَرُوقُ بِكُم ودنيَاكُم عَرُوبُ

وأنْتُم للسَمَاحَةِ بَحْرُ جدوى ... يَفِيضُ ولا يَلِمُّ به نُضُوبُ

لِيَهْنِ الدَّهْرَ والأعْيَادَ بُقْيا ... زَمَانِك إنَّهُ الزَّمَنُ الخَصِيبُ

سَتَصْحَبُها مُدَاومةٌ بِنَصْرٍ ... عَزِيزٍ ضِمْنُه عُمْرٌ قَشِيبُ

وتَبْقَى مِثْلَ ما تَبْقَى الليالي ... وقد شَمَطَتْ ولاح بها المشِيبُ

فِدَاكَ سِوَاك أن تُمْنَى بخَطْبٍ ... وأنْ تَحْتَلَّ شَعْبَكُمُ شَعُوبُ

تَرَامَتْ بي إليك نَوًى نَدُوفٌ ... ورأيي في اعْتِمَادِكُم مُصِيبُ

وما لي أنْ يُقَالَ قَصِيُّ دارٍ ... نأى عنْهَا وَعُرْبِيٌّ غَرِيبُ

وعُـــدْتُ وَعَـــوْدَتـــي أوْلـــى وأجْـــدَى ... وأحْـــمَـــدُ فـــي حـــيـــاةٍ اسْـتَـــطِـيـبُ

وســالـــمَـنِـي زَمَـــانـــي فـــي ذُراكُـــم ... وقـــد سَـــلَـــفَـــتْ لـــه عـــنـــدي ذُنُـــوبُ

فَـــاعْـــتَـــبَ خَـــائِـــفًـــا مِـــمَّـــا جَـنَـاه ... وَأقْـــسَـــم أنَّـــهُ مـنـهـا يَـــتُـــوبُ

فَـــعَـــفْـــوًا أيُّـــهـــا الـــمـــولـــى وَصَـــفْـــحًـــا ... فـــكَـــمْ جَـــانٍ وَمُـــجْـتَـــرِمٍ يُـنِـيـبُ

التخريج:

المن بالإمامة: ١٤٤-١٤٦

*في المن البيت غير مدور وبه ينكسر الوزن فالصواب ما أثبتناه.

المناسبة:

قالها في تهنئة عبد المؤمن بن علي بعيد الفطر سنة ٥٥٧هـ.

المعاني:

السارح: راعي الإبل

اللقم: وسط الطريق

الجنوب: أي الجنوب من الرياح، يقول الأصمعي: "إذا جاءت جَنُوب جاء معها خير وتلقيح"

الضمانة: الداء في الجسد من بلاء أو كبر، أو الداء نفسه

رعايلها: الجماعة من الناس أو الخيل

شمط: اختلط، وشمطت الليالي اختلطت بين الظلمة والبياض

ندوف: من ندف بمعنى رمى به، يعني أن النوى رمى به بعيدا

مجترم: مجرم

٣

من بحر الكامل

عَـــزَمَـــاتُ مَـنْـصُـورِ الـعَـزَائِـمِ غَـالِـب ... ضَـمِـنـتْ فُـتُـوحَ مَـشَـارِقٍ ومَـغَـارِبِ

يـا سَـعْـدَ دِيـنِ الـلـه أفْـلَـحَ حِـزبُـهُ ... وَهَـــوَتْ عِـــداهُ فـي عَـــذَابٍ وَاصِـــبِ

أولـــى لأشْـيَـاعِ الـغَـوايَـةِ والـــرَّدى ... ووراءَ نـــارِ الـحـقِّ أنْـجَـحُ طَـالِـبِ

يـمـضـي لأمْـــرِ الـلـه غَـيْـرَ مُـعـرِّجٍ ... مُـتَـوجِّـهًـا بـــالـنَّـصرِ ضَـرْبَـة لازِبِ

عـــادَاتُ مُـخْـتـرِمِ الـعُـدَاةِ مُـظَـفَّـرٍ ... مُـغْـتَـالُ كُـــلَّ مُـعَـانِـدٍ ومُـحَـارِبِ

أمِـنـتْ كَـتَـائِـبُـه مَـكِـيـداتِ الـعِـدَا ... واسْـتَـصْـحَـبَـتْ لـلـنـصْرِ ألْـــزَمَ صاحِبِ

واسْـتَـنْـجَـدَتْ بـنَـجَـاحِـــهِ وبِـيُـمْـنِـه ... فـقَـطَـعْـنَ عَـــرْضَ الـبِـيـدِ غَـيْـرَ لـوَاغِـبِ

بسَـــوابِقٍ كـبَـــوارِقِ ومَـــوَاكِبٍ كَـكَـوَاكِـبٍ وجَـنَـائِـبٍ كـخَـبَـائِـبِ
كَـاثَـرْنَ أعْـــدَادَ الـحصى وتَـضَـاءلَـتْ منـــها فِـــساحُ أجَـــارعٍ وأخَـاشِـبِ
طَـلَـعَـتْ عـلـى الأعـــداءِ سُـحْـبًـا لـلـردى سَـــــالَـتْ دَمًـا بـــأبـاطِحٍ ومَـــذَانِـبِ
تـلـك الـــمَـخَـايـلُ أغْـدَقـتْ وَكَّـــــافَةً فَـحَـذارِ مـن زَجَـلِ الـرَّوَاعِـدِ صَـائِـبِ
تـلـك الـسُّـيـولُ تَـغُـولُ مَـنْ تَـسْـطُـو به فَـاطْـلُـبْ أمـانًـا مـن هِـزَبْـرٍ غَـاضِـبِ
خُـلُـجٌ مـــن الـبَـحْـرِ الـطَّـمُـوحِ هَـوَتْ جَيَّـاشَـةً بـزَوَاجِـرٍ وغَـوَارِبِ
يَـومُ الـعُـروبةِ أعْـرَبَتْ فَتَكاتُـه فـي الـكُـفْـرِ عـن فَـتْـحٍ مُـبِـينٍ رَاتِـبِ
وَتَـيَـقَّـنَ الأعْـداءُ أنَّ حِـمَـاهُمُ مِـنْ بـعـد هـذا الـيـومِ نَـهْـبُ الـنَّـاهِـبِ
مـا بَـعْـدَهـا إلا مـقَـادَةُ صَـاغِـرٍ يُـلْـقَـى يَـدًا أو تَـوْبَـةٌ مـن تـائِبِ
مَـنْ لـم تُـبَـصِّـرهُ بَـصِـيـرةُ مُـهْـتَدٍ فَـلْـيَـهْـدِه لـلـرُّشْـدِ عَـقْـلُ تَـجَـارِبِ
الـحـقُّ عـنـد إمَـامِ حَـقٍّ مـُجْـتَـبَـى يَـهْـدِي الأنَـامَ إلـى الـطَّـريـقِ اللاحِـبِ
يَـقْـضِـي فَـيُـمْـضِـي كُـلَّ حَـقٍّ واجِـبٍ إلا إذا أعـطـى فَـفَـوْقَ الـواجِـبِ
يَـغْـنـي ويُـغْـنـي راضِـيًـا أو سَـاطِـيًـا ويـفـي بـبَـذْلِ مَـوَاهِـبٍ ونَـوَائِـبِ
ضَـمِـنَ الإلَـهُ لِـكَـفِّـه ولِـسَـيـفِـهِ رِزْقَ الأنـيـسِ وكُـلِّ وَحْـشٍ سَـاغِـبِ
لـو تَـعْـلَـمُ الـوحْـشُ الـغَـوادِي بـأسَـهُ لـم تَـسْـتَـعِـدّ لـصَـيْـدِهـا بـمَـخَـالِـبِ
تـحـوي نَـدَاهُ الـطَّـيْـرُ فـي وُكـنَـاتِـهـا فـتَـرِنُّ تَـرْجِـيـعًـا بـشُـكْـرٍ دَائِـبِ
عَـرَفَـتْ عَـوَارِفَـهُ فَـتَـشْـكـرُ فَـضْـلَـه وتَـدِيـنُ إعْـظَـامًـا بـحُـكْـمِ الـواجِـبِ
فـتَـمُـرُّ يُـمْـنًـا بـالـرِّضـا لـمُـسَـالِـمٍ وتَـمُـرُّ بَـرْحًـا بـالـرَّدَى لـمُـحَـارِبِ
نُـصِـرَتْ كـتـائِـبُـه بـمَـنْـصُـورِ الـلِّـوَا غَـلَّاب كُـلِّ قَـرِيـعِ جَـيـشٍ غَـالِـبِ
تَـلْـقَـاهُ آسَـادُ الـوَغَـى وكُـمَـاتُـهـا فـكـأنَّـمـا يَـلْـقَـاهُ سِـرْبُ كَـوَاعِـبِ
وأظُـنُّ جَـيـشَ الـلَّـيـل خَـافَ مَـغَـارَهُ عـنـد الـصَّـبَـاحِ فـجَـدَّ عَـزْمَـةَ هَـارِبِ
أمـضـى إلـى الـشَّـرْقِ الـقَـصِـيِّ عـزيـمَـةً نَـالَـتْ قِـيَـادَ أعَـاجِـمٍ وأعَـارِبِ

تَبْدُو بِهَا شَمْسُ النَّهارِ سَقِيمَةً ... تَشْكُو الضَّنى منها بِلَوْنٍ شَاحِبِ

وكأنَّ جُنْحَ اللَّيلِ حَاذَرَ هَوْلَها ... ولذاكَ مَا أبْدَى ذَوَائِبَ شَائِبِ

عَجِبَ الورى من شَامِخٍ سَامِى الذُّرى ... قَلِقِ المطايا مُذْلِجٍ أو سَارِبِ

تدعوه داعِيةُ السَّعادَةِ والعُلا ... فيَخِفُّ منه وَقَارُ طَوْدٍ رَاسِبِ

في اللهِ أعْمَلَها على بُعْدِ المدى ... فَجَزَعْنَ غَوْلَ مَفَاوزٍ وسَبَاسِبِ

إنْ أعْوَزَتْ وِرْدًا بِقَفْرٍ مُمْحِلٍ ... وَرَدَتْ شَمَائِلُ منه غَيْرَ نَوَاضِبِ

أو أخْلَفَتْها مُزْنَةٌ بِتَنُوفَةٍ ... فاضَتْ أنَامِلُه بِقَطْرٍ سَاكِبِ

عِشْ يا أمِيْرَ المُؤمِنين بِغَبْطَةٍ ... ووقَاكَ سَعْدُك كُلَّ خَطْبٍ نَائِبِ

واهْنَأ بِبُشْرى طالَعَتْكَ سُعُودُها ... تَجْلُو ظَلامَ حَنَادِسٍ وَغَيَاهِبِ

التخريج:

المن بالإمامة: ١٤٣-١٤٤

المناسبة:

قالها مهنئا الخليفة عبد المؤمن بالنصر الذي حققه الموحدون في موقعة السبيكة سنة ٥٥٧ه.

المعاني:

لاغب: تعب

الجنائب: جمع جنيبة، وهي الناقة التي يعطيها المرء صاحبه ليجمع له الطعام عليها

الخبائب: جمع خبية، وهي الطريقة من الرمل والسحاب

الأجارع: مفردها أجرع، وهي الأرض ذات الحزونة التي تشاكل الرمل، وقيل الرملة السهلة المستوية

الأخاشب: الأخشب من الجبال هو الخشن الغليظ، وقيل هو الذي لا يُرْتَقَى فيه.

الأباطح: مفردها أبطح، وهي الأرض المنبسطة الفسيحة الأرجاء يسيل فيها الماء تاركا فيها الرمل وصغار الحصى

المذانب: مفردها مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض

لواغب: من الفعل لغب بمعنى التعب والإعياء

ساغب: جائع

غول: هلاك

السباسب: المفاوز.القفر

التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس

الغيهب: شدة سواد الليل

الحنادس: ثلاث ليال مظلمة

٤

من بحر الكامل

وَضَحَتْ بِأَنْوَارِ الهُدَى قَسَمَاتُه ... وأَبَانَتِ الهَدْيَ القَويمَ سِمَاتُه

مَلِكُ المُلوكِ مُؤَيَّدٌ لَكِنَّه ... غَلَبَتْ عليه من التُّقَى مَلَكَاتُه

دانَتْ له الدُّنيا وكَافَّةُ أهْلِها ... فَعَفَا وَعَفَّ وسامَحَتْ عَطَفَاتُه

أبْدَى لنا بِشَبَابِه وَمَنَابِه ... عَجَبًا وظَاهَرَ حُسْنَه حَسَنَاتُه

فَرْعٌ من الدَّوْحِ الأَلِفِّ تَسَامَقَتْ ... أفْنَانُه وتقَابَلَتْ شَعَبَاتُه

سَامَى وطَاولَ في سَمَاواتِ العُلا ... صَعْدًا وَعَاجِل غَرْسَه ثَمَراتُه

غِرٌّ لَبِيبٌ والعُلُوم لِذَاتُه ... والمَعْلُواتُ كرَائِمًا دايَاتُه

كَثُرتْ فَضائِلُه فَكَاثَرتِ الحَصَى ... عَدًّا وقَدْ قَلَّتْ به سَنَواتُه

وَمَضَتْ ببرقِ غُيُومِه صَفَحاتُه ... وَمَضَتْ مضاءَ صِفَاحِه عَزَماتُه

وأفَادَهُ دَهْرًا مُفِيدًا مُنْعِمًا ... وُصِلَتْ بباهِرِ خَيْرِه خَيْراتُه

نَجْلُ الخَلِيفةِ يُقْتَدى بِرَشَادِه ... وَسَدَادِه وَتَبِينُ فيه سِمَاتُه

وَرَدَ الزُّلالَ العَذْبَ في يَنْبُوعِه ... صَفْوًا مَعِينًا لَمْ تَشُبْه قَذَاتُه

صَفْوًا مَعِينًا لَمْ تَشُبْه قَذَاتُه ... وهُنَاك شُيِّدَ بالهُدَى حُجُراتُه

ولَّاه مَرْتَبَةَ الفَخَارِ وُلاتُه ... وبَنَى له المَجْدَ الطَّمُوحَ بُنَاتُه

وَتَقَيَّلَ الخُلْقَ الرَّضِيَّ فأُنْجِحَتْ ... أضْحَاؤه وَتَيَسَّرَتْ طَلَباتُه

صَبٌّ يُوَكَّلُ بالوغى أو بالنَّدى ... لا تُرْتَجى من وَجْدِه مَسْلاتُه

أَلِفَ الْحُرُوبَ فلم يُخِلَّ بعَهْدِها ... والخِلُّ لا تُنْسى له حُرُمَاتُه

وإذا تَذَكَّرها أجَدَّ نِزَاعُه ... وحَنِينُه وتَوَاصَلَتْ ذِكْرَاتُه

يُلْهِيه رَوْضٌ والقَنَا دَوْحَاتُه ... والْبِيضُ زَهْرٌ والدِّمَا شُقُرَاتُه

والسَّابِغَاتُ مَوَارِدٌ يَشْفِي بها ... حَرَّ الصَّدى وظِلالُهُ رَايَاتُه

فـي حـيـث صَـــوْتُ الـــمَـشْـرَفِـيِّ مُـرجَّـعٌ ... يَـشْـدُو فـتُـطْـرِبُ فـي الـطَّـلـى نَـغَـمَـاتُـه

ويَـــهُـــبُّ مـن ريـــحِ الـــجلادِ نَـسِـيـمُـهـا ... فَتَـشُـوبُـه وَتَـــهـــدُّه هَـبَّـاتُـه

تَـحْـنُـو عـلـيـه الـحـربُ إذ كـان ابْـنَـهـا ... رَبَّـتُـه مـــن حَـمْـسِ الـوغـى رَبَّـاتُـه

فـتَـقِـيـه بَـــادِرَةَ الـغـوائـلِ والـــرَّدى ... وتُـطِـيـحُ بـالـمـوتِ الـــزُّؤامِ عِـدَاتُـه

يـاخَـيْـرَ مـن مَـلَـكَ الـــورى وَدَعَـــاهُـــمُ ... لـلـه فَـابْـتَـدَرَتْ لـه دَعَـواتُـه

جُـوزِيـتَ بـالـحُـسْـنَـى إذا مـا مُـحْـسِـنٌ ... فـــي فـعـلـه جُـزِيـتْ لـه فَـعَلاتُـه

مَـنْ يُـصْـفِ حُـبَّـك أُسْـعِـدَتْ أحْـوَالُـه ... وَمَـآلُـــه وَتُـقُـبِّـلَـتْ قُـرُبـاتُه

مَـنْ يَـقْـتَـدِي بـك يَـهْـتَـدِي أو مـن يَـرُمْ ... سُـبُـلَ الـنَّـــجَـــاةِ فـأنْـتُـمُ مَـنْـجَـاتُـه

وتـــهَـنَّـأ الـبُـشْـرى بـــأوْبَـــةِ سَـيِّـدٍ ... قُـــرِنَـــتْ بـأجْـزَلِ نَـعْـمَـةٍ أوْبَـاتُـه

نَـجْـلُ الْـهُـدى وأخـــوك عَـــزَّت نِـسْـبَـةً ... والـــمَـجْـدُ تَـقْـصُـرُ دُونـهـا غَـايَـاتُـه

فـي الـلـه أعْـمَـلَ سَـعْـيَـهَ فَـحَـوتْ لـه ... جَـمْـــعُ الـفَـضـائـلِ والـــعُلا مَـسْـعَـاتُـه

سَـيـفٌ بِـكَـفِّـك مُـصْـلَـتٌ تَـسْـطُـو بـه ... مَـــاضِـي الـشَّـبـا لاتُـتَّـقَـى نَـثَـواتُـــه

نَـــدْبٌ أشَـــمُّ الأنْـــفِ إنْ سُـئِـل الـذي ... لايَـرْتَـضِـي ثَـــارَتْ لـه أنَـفَـــاتُـــه

سَـهْـلُ الـجَـوانِـبِ راضِـيًـا ومُـوالِـيـا ... وإذا تَـنَـكَّـر أحْـزَنَـتْ جَـنَـبـاتُـه

سَـــاسَ الأنـــامَ فـأُمِّـلَـتْ نَـعْـمـاوُه ... ونـوالُـــهُ وتـُخُـوِّفَـــتْ نَـقَـمَـاتُـه

يَـرْعَـى بَـجَـفْـنِ كَلاءَةٍ وحِـمَـايَـةٍ ... مَـوْصُـولـةٌ فـي رَعْـيِـه يَـقَـظاتُه

أنْـتُـم لأهـلِ الأرْضِ أوْثَـقُ عِـصْـمَـةٍ ... وبـأمْـرِكِـمْ عُـطِـفَـتْ عـلـيـه حَـيَـاتُـه

لازِلْـــتُـــمُ لـلـمَـكْـرُمَـاتِ ولِلْـعُلا ... شَـــمْلاً ولايَـقْـضِـي عـلـيـه شَـتَـاتُـه

واسْـتَـقْـبِـلـوا فـي الـدَّهْـرِ عُـمْـرًا بَـاقِـيًـا ... مـا واصَـلَـتْ غَـدَواتُـــه رَوْحَـاتُـــه

التخريج:

المن بالإمامة: ١٨٨-١٨٩

البيان المغرب :٣/١٨٢-١٨٣: الأبيات ١-٤، ٨-١٣، ١٥، ٢٥-٢٨، ٣٠- ٣١، ٣٧-٣٩

الروايات:

البيت ٤: في البيان المغرب: بسنائه وهنائه بدلا عن بشبابه ومنابه

البيت ٨: في البيان المغرب: سقواته بدلا عن

سنواته

البيت ١٠: في البيان المغرب: بعيدا بدلا عن مفيدا

البيت ١٥: في البيان المغرب: فأينعت بدلا عن فأنجحت

البيت ٢٨: في رواية البيان المغرب: من يقتدي بسناك يُهْدَ ومن يرم

المناسبة:

قالها مهنئا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمقدم أخويه أبي حفص وأبي سعيد إلى مراكش من جبل طارق

المعاني:

الإلف: الكثير

داياته: القابلة أو المرضع

القذى: ما يقع فيعكر الصفو

تقيل: نزع إلى أبيه في الشبه والعمل

السابغات: الدروع

عداته: أعداؤه

نثواته: النثوة حد السيف

٥

من بحر الكامل

عَـهْـدٌ أنـارَ بـه الـهُـدَى والـدِّيـن ... الـبَـرُّ الـتَّـقِـيُّ الـطَّـاهِـرُ الـمَـيـمُـونُ

واسْـتُـظْـهِـر الـتَّـأيـيـدُ والـتَّـمْـكِـيـنُ ... بُـشْـرَى الـخِلافـةِ إذْ تَـقَـلَّـدَ عَـهْـدَهـا

نَـجْـلُ الإمـامِ وَنَـشْـأةُ الـخُـلُـقِ الـرِّضَـى ... يـبـدو عـلـيـه هَـدْيُـه ويَـبِـيـنُ

الـنَّـاصِـرُ الـمَـنْـصُـورُ أوضَـحَ نَـهْـجَـهُ ... فـي الـصَّـالـحـاتِ فَـنَـجْـحُـه مَـضْـمـونُ

يُـنْـمَـى إلـيـه ولادَةً وسِـيَـادةً ... وكـذاك تـنـمِـي للأُصُـولِ غُـصُـونُ

بـالـمَـنْـبَـتِ الـزَّاكـي تـأصَّـلَ واعْـتَـلى ... وسـقـاه صَـوْبَ الْـفَـضْـلِ وهـو هَـتُـونُ

ريَّـانُ مـن ذاك الـنَّـعِـيمِ هَـنَـا لـه ... وصَـفَـا لـه الـيَـنْـبُـوعُ وهـو مَـعِـيـنُ

رَضَـعَ الـخِلافَـةَ نَـاشِـئًـا فـي حجرها ... وَغَـذَتْـه حَـامِـلَـةُ الـرَّضـاع لَـبُـونُ

وَحَـنَـتْ إلـيـه حَـانِـيَـاتٌ للـعُـلا ... بِـمَـكـانِـه مـنْ عُـلْـوهنَّ مَـكِـيـنُ

ضَـمِـنَ الـسِّـيـادَةَ فـي الـطُّـفُـولـةِ وازْدَهَـتْ ... بـسُـعُـودِه الأيَّـامُ وهـو جَـنِـيـنُ

عِـزٌّ رَبِـيـبٌ والـعُـلُـومُ لِـذَاتِـه ... والـمَـشْـرَفِـيُّ أخٌ لـه وخَـدِيـن

تَـرَكَ الـمِـهَـادَ لِـسَـرْجِ أجْـرَدَ سَـابِـحٍ ... وَصَـفَـا عـلـيـه سَـرْدُه الـمَـوضُـونُ

شِبْلٌ غَذَتْه لُحُومُ آسَادِ الوَغَى ... فِي حَيْثُ مُلْتَفُّ الوَشِيجِ عَرِينُ

وكأنَّما الهَيْجَاءُ أمٌّ بَرَّةٌ ... تَحْنُو عليه بِرِفْقِه وتَلِين

يا سَيِّدًا أعطى السِّيادَةَ حَقَّها ... واخْتَصَّه التَّرْجِيحُ والتَّبْيِين

شَهِدَتْ بِفَضْلِك صَادِقَاتُ وَقَائعٍ ... لم تَلْتَبِسْ بشُهُودِهنَّ ظَنِينُ

وتَحَدَّثَتْ بِيضُ الصَّوارِم في الطُّلى ... بحديث مَجْدِك والحَدِيثُ شُجُونُ

لله دَرُّكَ والفَوارِسُ تَدَّعِي ... والحربُ خاسِرةُ المَتَاعِ زَبُونُ

واليومَ يَظْلُمُ للعُيونِ قِتَامُه ... فتُثِيرُه لك غُرَّةٌ وجَبِينُ

في مَأْزِقٍ ضَنِكٍ تَزِلُّ كُمَاتُه ... وَمَقَامُكُم صِدْقٌ هناك رَصِينُ

ولَرُبَّ صَوَّالِ الزَّئِيرِ حَطَمْتَه ... فغدا له بعد الزَّئِيرِ أنِينُ

هي بَيْعَةٌ رَضِيَ الإلهُ مَقَامَها ... وأُتِيحَ فيها اليُمْنُ والتَّأمِين

أُمْنِيَّةٌ للأولِياءِ كَرِيمَةٌ ... وعلى العُدَاةِ الأشقياءِ مَنُونُ

مُلِئَتْ عُيونُ الدِّينِ منها قُرَّةً ... وارْتَدَّ طَرْفُ الكُفْرِ وهو سَخِينُ

حَسَدَتْ لنا زُهْرُ النُّجومِ سُعُودَها ... فَتُقِيمُ خِدْمَةَ أمْرِها وتَدِينُ

أخَذَ السِّماكَ لها بأُهْبَةِ حَازِمٍ ... فَسِنَانُهُ مُتَأَلِّقٌ مَسْنُونُ

وسَرَتْ إلى الأرْمَاحِ بُشْرَى سَعْدِها ... فَهَفَتْ مَعَاطِفُ لَدْنَةٌ ومُتُونُ

وَجَلَتْ وُجُوهَ البِيضِ فَاعْتَقَدَتْ لها ... حُسْنَ الجَلاءِ صَيَاقِلُ وقُيُونُ

حَنَّتْ مُطَهْمَةُ الجِيادِ ليومها ... فَصَهِيلُها شَوْقٌ لها وَحَنِينُ

وَحَنَتْ مُوَطَّرَةُ القِسِيِّ سِيَاتِها ... وعلا لها إثْرَ الرِّماءِ رَنِينُ

شُكْرًا لمَوْلانا الخَلِيفَةِ إنَّه ... بِمَقَامِه الأرْضَى يُحاطُ الدِّيْنُ

ولَّى الأمَانَةَ أهْلَها وسَمَا لها ... بِغِنائِه رَحْبُ الذِّراعِ أمِينُ

لم يَعْدُه الرَّأيُ السَّدِيدُ وَهَدْيُه ... بجَمِيعِ أحْوالِ الصَّلاحِ ضَمِينُ

خِدْنُ التُّقَى وسَلِيلُ أنْوَارِ الهُدى ... أدَّتْه عن خَيْرِ الظُّهُورِ بُطُونِ

حازَ العُلا فكَمَالُه وَخِلالُهُ ... تُتْلَى لهنَّ مُعَاذَةً ياسِينُ

إسْـعَـدْ وَلِـيَّ الْـعَـهْـدِ واصْـعَـدْ سَـامِـيًـا ... والـلـهُ رَبُّـكَ نَـاصِـرٌ ومُـعِـيـنُ

واسْـتَـخْـلِـصِ الـعِـلْـقَ الـثَّـمِـينَ فـأنْـتُـمُ ... عِـلْـقٌ نَـفِـيـسٌ لـلـعُلاءِ ثَـمِـيـنُ

وتـهـنَّـأوا الـحَـظَّ الـجَـسِـيـمَ فَـفَـضْـلُـكُـم ... بـوفُـورِ خَـيْـرَاتِ الإلـه قَـمِـينُ

الأمْـرُ أمْـرُ الـلـه وهـو مُـوَيِّـدٌ ... الأمْـرُ أمْـرُ الـلـه وهـو مُـوَيِّـدٌ

يَـرْعَـاك مَـنْ يُـرْعِـيـك عَـهْـدَ عِـبَـادةٍ ... ويَـقُـولُ للأشْـيَـاءِ كُـنْ فَـتَـكُـونُ

التخريج:

المن بالإمامة: ١٧١ ـ ١٧٣

المناسبة:

قالها في تهنئة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمبايعته بعد وفاة أبيه عبد المؤمن بن علي وخلع ولي العهد أخيه محمد سنة ٥٦٠هـ

المعاني:

السرد: الدرع

الموضون: المحكم النسج

السماك: هناك نجمان يعرفان بالسماك، وهما الأعزل والرامح، والذي يقصده الشاعر هنا السماك الرامح، والعرب سمته رامحا لأنها شبهت الكوكب السادس عشر الذي على فخذه والعشرين الذي على ساقه اليسرى برمح له.

صياقل: جمع صيقل، وهو من يجلو السيف

قيون: جمع قين وهو الحداد

مطهمة الجياد: جواد مطهم مكتمل متناه في الرشاقة

سياتها: سية القوس: ما عطف من طرفيها. والجمع سيات

(١) انظر في أخباره وأشعاره: المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧: الصفحات ١٤٣-١٤٦، ١٧١- ١٧٣، ١٨٨. تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ ،١٩٨٦: ٦٥-٦٦. المقتضب من كتاب تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٣، ١٩٨٩: ١٠١. الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠: ١٠٨/٩(وهو ينقل ما قاله ابن الأبار في تحفة القادم بحذافيره). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١ ،٢٠١٣: ٣/ ١٣٥، ١٨٢- ١٨٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى الحلبي ط ١، ١٩٦٥: ٢٠٢/١. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، تح عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٨: ٤/ ١٠٨،"وهو ينقل ما قاله السيوطي بحذافيره".

(٢) أسماه ابن عذاري في البيان المغرب (إسماعيل بن محمد) والسيوطي في بغية الوعاة (محمد بن عمر)، أما البقية الباقية فأسمته -وهو المختار لدينا- إسماعيل بن عمر، ولعلنا لا نحتاج لدليل

قطعي أكثر من تسمية ابن صاحب الصلاة له، فهو من رآه بأم عيني رأسه، واستشهد شعره، بل كان حاضرا لكل المواقف التي قال فيها شعره

(٣) أسماه صاحب المقتضب: ابن الشواش (انظر كتابه:١٠١)، أما صاحب بغية الوعاة فنعته بالشواشي: البغية :١/ ٢٠٢

(٤) هكذا ضبطه ابن الأبار: انظر تحفة القادم :٦٥

(٥) شِلْبُ: مدينة بغرب الأندلس، وهي قاعدة كورة أكشوبنة وهي بقبلي باجة، لها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، ولها جبل منيف كثير المسارح والمياه، وهي حسنة الهيئة بديعة البناء، مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيره وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، بل قَلَّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني أدبا، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه، وأي معنى طلبته منه. وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادي هذه البلدة في غاية الكرم لا يجاريهم فيه أحد" انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤: ٣٤٢. تقويم البلدان، لأبي الفداء صاحب حماة، اعتنى بتصحيحه: البارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م: ١٩٧، معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.ط:٣٥٧/٣

(٦) بغية الوعاة: ٢٠٢/١

(٧) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(٨) السابق نفسه، الصفحة نفسها

(٩) المن بالإمامة: ٨٤

(١٠) تحفة القادم :٦٦

(١١) البيان المغرب: ١٣٥/٣

(١٢) نعني قوله:

تَرَامَتْ بي إليك نَوًى نَدُوفٌ

ورأيي في اعْتِمَادِكُم مُصِيبُ

وما لـي أنْ يُقَالَ قَصِيُّ دارٍ

نـأى عنـهَا وَعُرْبِـيٌّ غَـرِيبُ

فَاعْتَبَ خَائِفًا مِمَّا جَنَاه

وَأَقْسَم أَنَّهُ منها يَـتُوبُ

فَعَفْوًا أَيُّها المولى وَصَفْحًا

فكَمْ جَـانٍ وَمُـجْتَـرِمٍ يُنِيبُ

(١٣) تحفة القادم :٦٦

(١٤) المن بالإمامة: ١٨٧، البيان المغرب: ١٨١/٣

(١٥) بغية الوعاة :٢٠٢/١

(١٦) السابق نفسه: الصفحة نفسها

(١٧) انظر تحفة القادم :٦٥

(١٨) كنتُ قد جمعتُ شعر ابن المنخل الشلبي ودرسته دراسة فنية، وهو مقبول للنشر بمحلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد بدبي.

(١٩) كان د. علي الغريب الشناوي أول من اهتم بجمع شعر ابن حربون ودراسته، انظر بحثه: شعر أبي عمر بن حربون الشلبي (جمع وتوثيق ودراسة)، مجلة جامعة المنصورة، كلية الآداب، العدد (٢٠) يناير١٩٩٧، وجاء بعده د. عبد الله بن ثقفان فنشره تحت عنوان: من شعراء الأدب التاريخي "ابن حربون" في أربعة أعداد متتالية بمجلة دراسات أندلسية، الأعداد (من ٢٧حتى ٣٠) بين سنتي ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م

(٢٠) انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨: ١٤٢

(٢١) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩: ٦٦

(٢٢) (٢٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت: ١٧٠

(٢٣) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد

عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩: ٩١

(٢٤) النص: ١

(٢٥) النص:٥

(٢٦) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين :٩٣

(٢٧) النص:٣

(٢٨) النص: ٥

(٢٩) النص:٢

(٣٠) السابق نفسه

(٣١) النص:١

(٣٢) السابق نفسه

(٣٣) النص:٤

(٣٤) السابق نفسه

(٣٥) النص:٢

(٣٦) النص:٤

(٣٧) السابق نفسه

(٣٨) النص:١

(٣٩) النص:٢

(٤٠) النص:٤

(٤١) النص:٣

(٤٢) شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد الرقب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤: ١٠٢

(٤٣) النص: ٢

(٤٤) النص:٥

(٤٥) السابق نفسه

(٤٦) النص: ٣

(٤٧) النص:٥

(٤٨) النص:٢

(٤٩) مقدمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة، عبد الله التطاوي، دار الثقافة، ط١ ،١٩٩١: ١٧٨

(٥٠) النص:٢

(٥١) النص: ٥

(٥٢) منهاج البلغاء :١٦٩

(٥٣) النص:٥

(٥٤) النص:٤

(٥٥) النص:٣

(٥٦) النص:٤

(٥٧) شعر الجهاد في عصر الموحدين:١٧٢

(٥٨) النص: ٢

(٥٩) النص:٥

(٦٠) النص:٤

(٦١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ١٤٢

(٦٢) السابق نفسه: ١٦٧

(٦٣) النص:٤

(٦٤) سورة التوبة، آية"١٠٩"

(٦٥) النص:٥

(٦٦) سورة يس، آية "٨٢"

(٦٧) النص: ٣

(٦٨) النص:٢

(٦٩) النص:٥

(٧٠) السابق نفسه

(٧١) سورة النساء، آية" ٥٧"

(٧٢) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تح خليل إبراهيم العطية، وزارة الإعلام، مطبعة الجمهورية، بغداد ،١٩٧٠: ٤٦

(٧٣) النص:٢

(٧٤) صحيح مسلم:٢٢٠٤

(٧٥) النص:١

(٧٦) مجمع الأمثال للميداني، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.:٢٥٨/١

(٧٧) النص:٥

(٧٨) النص:٣

(٧٩) ديـوان المتنبي، ط المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت:٣٨٥

(٨٠) شعر الجهاد في عصر الموحدين:٢٧٢

(٨١) النص:٣

(٨٢) ديـوان البحتري، تـح: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٦ :١٥٩/١-١٦٠

(٨٣) النص:٤

(٨٤) النص:٥

(٨٥) النص:١

(٨٦) النص:٢

(٨٧) النص:٥

(٨٨) النص:٤

(٨٩) النص:٢

(٩٠) النص:٤

(٩١) النص:٣

(٩٢) السابق نفسه

(٩٣) النص:٤

(٩٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تـح: كامل محمد عويض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨ :٣٢/٢

(٩٥) النص: ٥

(٩٦) النص:٤

(٩٧) النص:٣

(٩٨) دلالات التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧: ٢٨٤

(٩٩) النص:٥

(١٠٠) قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف:٣٢٨

(١٠١) النص:٤

(١٠٢) النص:٣

(١٠٣) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٧٩: ٩٩

(١٠٤) النص:٤

(١٠٥) تحولات الشعرية في الأندلس، رشا غانم، دار النابغة، طنطا، ط ١، ٢٠٢١: ٤١٧

(١٠٦) النص:٤

(١٠٧) المعجم الذهبي (فـارسـي عـربـي)، محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٩: ٢٥٧

(١٠٨) النص:٢

(١٠٩) النص:٤

(١١٠) النص:٢

(١١١) السابق نفسه

(١١٢) النص:٤

(١١٣) النص:٢

(١١٤) النص:٣

(١١٥) النص:١

(١١٦) علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧ :٢٩/٢

(١١٧) النص: ٣

(١١٨) النص:٤

(١١٩) النص:٥

(١٢٠) النص:٣

(١٢١) النص:٣

(١٢٢) النص:١

(١٢٣) النص:٤

(١٢٤) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٣ :٢٦٣

(١٢٥) النص:٢

(١٢٦) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩٤

(١٢٧) النص:٤

(١٢٨) النص:٣

(١٢٩) النص:٥

(١٣٠) السابق نفسه

(١٣١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٨: ٣٨٥

(١٣٢) علم البديع: ١٨٠/٢

(١٣٣) شعر الجهاد في عصر الموحدين: ٢٨١

(١٣٤) النص:٣

(١٣٥) النص:٤

(١٣٦) النص:٥

(١٣٧) نقد الشعر:٥١

(١٣٨) النص:٤

(١٣٩) النص:٥

(١٤٠) النص:٤

(١٤١) السابق نفسه

(١٤٢) السابق نفسه

(١٤٣) النص: ٢

(١٤٤) فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت: ٢٩

(١٤٥) النص:٤

(١٤٦) النص:٣

(١٤٧) النص:١

(١٤٨) السابق نفسه

(١٤٩) النص :٣

(١٥٠) النص:١

(١٥١) النص:٤

(١٥٢) النص:١

(١٥٣) النص:٣

(١٥٤) النص:٤

(١٥٥) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت الجيار، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤: ٣٥

(١٥٦) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣: ٢٥

(١٥٧) النص:٢

(١٥٨) النص:٣

(١٥٩) السابق نفسه

(١٦٠) شعر الجهاد في عصر الموحدين: ٢٥١

(١٦١) النص:٤

(١٦٢) أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، علق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٧٨: ١٠٩

(١٦٣) النص:٣

(١٦٤) أسرار البلاغة:٣٣

(١٦٥) النص:٣

(١٦٦) النص:٥

(١٦٧) السابق نفسه

(١٦٨) السابق نفسه

(١٦٩) النص:٣

(١٧٠) النص:٣

(١٧١) سورة الصافات، آية"٩"

(١٧٢) النص:٣

(١٧٣) النص:٥

(١٧٤) السابق نفسه

(١٧٥) السابق نفسه

(١٧٦) السابق نفسه

(١٧٧) السابق نفسه

(١٧٨) النص:٣

(١٧٩) النص:١

(١٨٠) النص:٥

(١٨١) التص:٤

(١٨٢) النص:٣

(١٨٣) النص:٢

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٧٨
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢ ،٧٣١٩
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢ ،١٩٩٨
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٣.
- البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١٩٨٦
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى الحلبي ط ١، ١٩٦٥
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١ ،٢٠١٣
- تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ ،١٩٨٦
- تحولات الشعرية في الأندلس، رشا غانم، دار النابغة، طنطا، ط ١، ٢٠٢١
- تقويم البلدان، لأبي الفداء صاحب حماة، اعتنى بتصحيحه: البارون ماك كوكين، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م
- دلالات التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧
- ديوان البحتري، تح: حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٦.
- ديوان المتنبي، ط المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت
- ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تح: خليل إبراهيم العطية، وزارة الإعلام، مطبعة الجمهورية، بغداد ،١٩٧٠
- الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤
- شعر أبي عمر بن حربون الشلبي (جمع وتوثيق ودراسة)، مجلة جامعة المنصورة، كلية الآداب، العدد٢٠، يناير١٩٩٧
- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩
- شعر الجهاد في عصر الموحدين، شفيق محمد الرقب، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤
- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت الجيار، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤
- علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧
- فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- قصيدة المديح في عصر الطوائف، أشرف محمود نجا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط ١٩٩٧
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٨
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٧٩

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تح: كامل محمد عويض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨
- مجمع الأمثال للميداني، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المعجم الذهبي (فارسي عربي)، محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٩
- المقتضب من كتاب تحفة القادم، لابن الأبار، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٣، ١٩٨٩.
- مقدمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة، عبد الله التطاوي، دار الثقافة، ط١ ،١٩٩١
- المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت.
- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩
- الوافي بالوفيات، للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠